المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال

تأليف

عبد الله بن محمد الدويش

الناشر

مكتبة دار العليان

المُورد الزلال في التنبيه
على
أخطاء تفسير الظلال

بسم الله الرحمن الرحيم

المورد الزلال في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال

تأليف

عبد الله بن محمد الدويش

الناشر
مكتبة دار العليان

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الناشر
مكتبة دار العليان للنشر والتوزيع
بريدة - ص.ب: ١٨٣
تلفون: ٠٦٣٢٣٠٢٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً مزيداً.

أما بعد، فقد كثر السؤال عن كتاب ظلال القرآن لمؤلفه سيد قطب ولم أكن قد قرأته فعزمت على قراءته فقرأته من أوله إلى آخره فوجدت فيه أخطاءً في مواضع خصوصاً ما يتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة وعام السلوك فأحببت التنبيه على ذلك لئلا يغتر به من لا يعرفه وقبل الشروع في ذلك أنبه على أمور؛ الأول أن بعض المواضيع قد يتكرر في كثير من السور فأنبه عليه في موضع أو موضعين أو أكثر من ذلك ولا استقصى ما في كل سورة اكتفاءً بما ذكرته وطلباً للاختصار، الثاني أن بعض الناس يستعظم أن ينبه على أخطاء من أخطأ وهذا جهل منه فما زال العلماء يرد بعضهم على بعض من زمن الصحابة إلى وقتنا هذا وقد قال مالك بن أنس رحمه الله كل يؤخذ من قوله ويرد إلاّ صاحب هذا القبر صلّى الله عليه وسلم، الثالث اشتهر عن بعض الناس أن المؤلف ألف هذا الكتاب في أول عمره بخلاف ما ألفه في آخره ولعله اعتمد على ما قرره في سورة الجن في الجزء السادس ص ٣٧٣٠ وص ٣٧٣١ الطبعة السابعة في الحاشية

ولكنه ليس صريحاً في ذلك لكونه نقض كلامه في آخره وسيأتي التنبيه عليه في موضعه إن شاء الله وعلى كل تقدير فليس المقصود الشخص وإنما المقصود بيان ما في كتابه من الأخطاء وسميته (المورد الزلال في التنبيه على أخطاء الظلال) وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم مقرباً لديه في جنّات النعيم إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

الموضع الأول

قال في الجزء الأول ص ١٢ على أن المرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مانوس وعالم صديق ودود.

أقول تسميته الأرض كوكباً ليس بصحيح ويأتي الكلام عليه إن شاء الله في سورة الذاريات، وسيكرر هذه التسمية في مواضع متعددة فننبه لذلك والله أعلم.

الموضع الثاني

قال عند قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ ، الجزء الأول ص ٥٣ .

يكثر المفسرون والمتكلمون هنا من الكلام عن خلق الأرض والسماء يتحدثون عن القبليّة والبعدية ، ويتحدثون عن الاستواء والتسوية ، وينسون أن «قبل وبعد» اصطلاحان بشريان لا مدلول لهما بالقياس إلى الله تعالى وينسون أن الاستواء والتسوية اصطلاحان لغويان يقربان إلى التصور البشري المحدود صورة غير المحدود، ولا يزيدان وما كان الجدل الكلامي الذي ثار بين علماء المسلمين حول هذه التعبيرات القرآنية إلّا آفة من آفات الفلسفة الأغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى عند مخالطتها للعقلية العربية الصافية وللعقلية الإسلامية الناصعة وما كان لنا نحن اليوم أن نقع في هذه الآفة فنفسد جمال العقيدة وجمال القرآن بقضايا علم الكلام . الخ .

أقول الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول : قد دل القرآن على أن الأرض خلقت قبل السماء كما قال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ . وأما قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها

والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ ، فهو يدل على أنه لما أكمل خلق صورة العالم العلوي والسفلي دحىٰ الأرض فأخرج منها ما كان مودعا فيها هذا معنى ما ذكره ابن كثير البداية والنهاية ١ : ١٦ وقال وفي صحيح البخاري أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً . وقد حررنا ذلك في سورة النازعات انتهى من تفسير ابن كثّيرج١ : ص ٦٨ فهذا كلامهم كما ترى ، وهذا عند هذا الزاعم لا طائل تحته لا والله بل هذا هو الحق لا كلام أهل الهيئة والنظريات الحادثة .

الوجه الثاني قد دلّ القرآن والسنة على أن العرش موجود قبل السموات والأرض كما قال تعالى: **﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾** وروى البخاري عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلّى الله عليه وسلّم فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرية يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله،قالوا:جئنا نسألك عن هذا الأمر قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض.

الوجه الثالث قوله يتحدثون عن الاستواء والتسوية، أقول قد صرح أكابر المفسرين وأهل اللغة وثبت عنهم تفسير الاستواء بالعلو والارتفاع وبعض أكابرهم بأنه صعد. انتهى من كلام عبد اللطيف ابن عبد الرحمن، الدرر السنية الجزء الثالث ص ٣٣٦ وكذلك قوله فسواهن سيُذكر في تفسيره عن الصحابة والتابعين فيما بعد إن شاء

الله فمن رد هذا أو عابه فقد عاب قول أهل السنة والجماعة وهـذا هو دأب أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم وسيجئ من كـلامه مـا يبين أنه سلك مسلكهم.

الوجهه الرابع قوله وينسون أن الاستواء والتسوية اصطلاحان لغويان إلخ أقول إن كـان قصده أنـه لا يعرف معنـاه فهذا بـاطل أو يعرف ولا يفسر على مـا ورد عن السلف فهذا أيضـاً باطـل وإن كان قصده أننا لا نعلم كيفيـة ذلك فهـذا أحق وقد صح عن مالـك بن أنس وعن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن وكذلك عن أم سلمة أنهم قـالوا الاستـواء معلوم والكيف مجهول وفي بعض طـرقه والكيف غـير معقول والسؤال عنه بدعة اهـ من الدرر ٣ : ٣٣٥.

الوجه الخامس أن قوله قبل وبعـد لا مدلـول لهما بـالقياس إلى الله الخ يقال له أهل السنة يؤمنون بما أخبر الله بـه عن نفسه ووصفـه بـه رسولـه صلّى الله عليـه وسلّم على مـا يليق بجلالـه وعـظمتـه ولا يردون ذلك لأجل شناعة المشنعين ولا يشبهونه بخلقه.

الوجه السادس وما كان الجدل الذي ثار بين المسلمين إلاّ آفة من آفات الفلسفة إلخ أقول أهل السنة والحمـد لله لم يختلفوا وإنمـا الذين اختلفوا وضلوا هم أهل البدع الذين لم يؤمنوا بما وصف الله به نفسه وقد رد عليهم أهل السنة والجماعة وصاحوا بهم وكشفوا عن عوراتهم والله أعلم .

الموضع الثالث

قال عند قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾. ولا مجال للخوض في معنى الاستواء إلّا بأنه رمز السيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين كذلك لا مجال للخوض في معنى السموات السبع المقصودة هنا وتحديد أشكالها وأبعادها الخ ج ١: ص ٥٤.

أقول هذا باطل من وجوه

الوجه الأول أن هذا خلاف ما قاله المحققون من المفسرين، قال ابن جرير في تفسيره الكبير وأولى المعاني بقوله لله جل ثناؤه ثم استوى إلى السماء سواهن علا عليهنّ وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات ج ١: ص ١٥ وقال ابن كثير في تفسيره استوى إلى السماء أي قصد إلى السماء والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بإلى ج ١: ص ٦٧ وقال البغوي ثم استوى إلى السماء قال ابن عباس وأكثر مفسرين السلف أي ارتفع إلى السماء ج ١: ص ٤٤.

الوجه الثاني قوله رمز السيطرة يفهم منه أن السماء كانت ملكاً لغيره ثم سيطر عليها وهذا لا يقوله عاقل فعلم أنه باطل.

الوجه الثالث قوله لا مجال للخوض في معنى السموات السبع الخ هذا الإطلاق باطل وقد تكلم الصحابة والتابعون والعلماء في

معنى السموات وهم أعلم من هذا الزاعم وأتقى لله قال ابن جرير حدثني موسى بن هارون وساقه بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلّى لله عليه وسلّم هو الذي خلق لكم ما في الأرض وناس من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم **﴿هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾** قال إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج عن الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين ألخ وذكر بإسناده عن مجاهد في قوله هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء قال خلق الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك حين يقول ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات قال بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض وذكر عن قتادة بإسناد صحيح في قوله فسواهن سبع سموات قال بعضهن فوق بعض بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ج ١ : ص ١٥٢ : ص ١٥٣ وذكر نحوه ابن كثير ج ١ : ص ٦٧ : ص٦٨ .

الوجه الرابع قوله وأبعادها هذا أيضاً رد لما ثبت في الأحاديث الصحيحة وما ثبت عن سلف الأمة وأئمتها من أن ما بين سماء إلى سماء مسيرة خمسائة سنة راجع توحيد ابن خزيمة ص ١٠٢ : وص ١٠٥ وص ١٠٦ وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٩٩ و ٤٠١ وكتاب اللالكائي ج ٣ : ص ٣٩٠ شرح أصول اعتقاد أهل السنة وغيرها .

وفي بعضها بين كل سماء إلى سماء مسيرة ثلاث وسبعين سنة

وجمع بينها بحسب قوة السير وضعفه كما أشار إليه في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٥٢٨ آخر باب منه وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام هذه الدعوة قدس الله روحه في مسائله الثانية عشرة كم بين كل سماء إلى سماء ثم قال الثامنة عشرة كشف كل سماء خمسمائة سنة. فما يكون جواب هذا النافي للخوض في هذا الباب وقد ثبت فيه ما قد رأيت إذا سئل يوم القيامة فلا بد أن يعد للسؤال جواباً والله أعلم.

الموضع الرابع

قال في الجزء الأول ص ٥٩ على قوله تعالى: ﴿**وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ الآيات قال وبعد مرة أخرى فأين كان هذا الذي كان وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً من الزمان ومن هم الملائكة ومن هو إبليس كيف قال الله تعالى لهم وكيف أجابوه هذا وأمثاله في القرآن الكريم غيب من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

الجواب أن يقال

أما قوله وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حيناً فجوابه أن يقال هي جنة الخلد وذلك لوجوه الوجه الأول أن الله تعالى عرف الجنة بالألف واللام ومن قال أسأل الله الجنة لم يفهم منه في تعارف الخلق إلّا طلب جنة الخلد.

الوجه الثاني ما ورد في الحديث المتفق عليه أن موسى قال لآدم أخرجتنا ونفسك من الجنة وفي صحيح مسلم عن حذيفة وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حديث الشفاعة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلّا خطيئة أبيكم آدم وغيرهما من الأحاديث.

الوجه الثالث إجماع أهل السنة على أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم عليه السلام كما حكاه القرطبي في تفسيره

ج ١ : ص ٣٠٣ وقد بسط الكلام على هذه المسألة العلامة ابن القيّم في أول مفتاح دار السعادة.

وأما قوله ومن هم الملائكة فجوابه أن يقال هم جميع الملائكة لأن اللفظ عام ومن خصّ بعضهم فعليه الدليل قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى ج ٤ : ص ٣٦١و٣٦٢ روي عن بعض الأولين أن الملائكة الذين سجدوا لآدم ملائكة في الأرض فقط ملائكة السموات ومنهم من يقول ملائكة السماوات دون الكريونيين إلى أن قال فاعلم أن هذه المقالة أولاً ليس معها ما يوجب قبولها لا مسموع ولا معقول، إلا خواطر وسوانح، ووساوس مادتها من غرس إبليس، يستفزهم بصوته ليرد عنهم النعمة التي حرص على ردها عن أبيهم قديما: أو مقالة قد قالها من يقول الحق والباطل لكن معنا ما يوجب ردها من وجوه:

أحدها أنه خلاف ما عليه العامة من أهل العلم بالكتاب والسنة وإذا كان لا بد من التقليد فتقليدهم أولى.

وثانيها أنه خلاف ظاهر الكتاب العزيز وخلاف نصه فإن الاسم المجموع المعرف بالألف واللام يوجب استيعاب الجنس قال تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجود الملائكة يقتضي جميع الملائكة، وهذا مقتضى اللسان الذي نزل به القرآن فالعدول عن موجب القول العام إلى الخصوص لا بد له من دليل يصلح له وهو معدوم.

وثالثها أنه قال فسجد الملائكة كلهم أجمعون،فلو لم يكن الاسم الأول يقتضي الإستيعاب والإستغراق لكان توكيده بصيغة كل موجبة

لذلك ثم لو لم يفد تلك الإفادة لكان قوله أجمعون توكيداً وتحقيقاً بعد توكيد وتحقيق إلى أن قال ورابعها أن هـذه الكلمة تكـررت في القرآن وقال النبي ﷺ في حديث الشفـاعة وأسجـد لك مـلائكته وكـذلك في محاجة موسى وآدم انتهى منه بـاختصـار .

و أما قوله ومـن هو إبليس فيقال له قد ورد ما يبين أصله وحـاله قال تعالى : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ **وخلق الجان من مارج من نار** ﴾ وأخبر تعالى أنه استكبر وكان من الكافرين وأنه يملأ جهنم منه وممن اتبعه من الغاوين وثبت في صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال خلق إبليس من مارج من نار وقال الحسن البصري ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه والله أعلم .

الموضع الخامس

قال على قوله تعالى: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾وليس من الضروري أن يستحيلوا قردة بأجسامهم فقد استحالوا إليها بارواحهم وافكارهم وانطباعات الشعور والتفكير تعكس على الوجـوه والملامـح سمات تؤثر في السحنة وتلقي ظلها العميق ج١ : ص ٧٧.

هذا فيه نظر والراجح أنهم مسخوا حقيقة مسخت أجسامهم لأن هذا الظاهر ولا يجوز العدول عنه إلا لدليل ولا دليل يصرفه عن ظاره وقد قال تعالى : ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ الآية انظر تفسير ابن كثير الجزء الأول ص ١٠٥ والله أعلم .

الموضع السادس

قال في الجزء الأول ص ١٠٤ على قوله تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها**﴾الآيتين قال وأقرب ما يتوارد إلى الخاطر أن هاتين الآيتين تتعلقان بمسألة تحويل القبلة وسعي اليهود لصد المسلمين عن التوجه إلى الكعبة وقال في ص ١١١ كذلك وصل إلى الحديث عن الذين يمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ويسعون في خرابها وقلنا هناك إنها قد تكون خاصة بموقف اليهود من قضية تحويل القبلة.

أقول هذا مردود لم يقله أحد من المفسرين قال ابن كثير اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين أحدهما ما رواه العوفي في تفسيره عن ابن عباس قال هم النصارى وكذا نقل عن مجاهد وقتادة والسدي والحسن والقول الثاني ما رواه ابن جرير عن ابن زيد قال هؤلاء المشركون الذين حالوا بين رسول الله ﷺيوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة انتهى. وهكذا ذكر ابن الجوزي والقرطبي والبغوي والخازن وغيرهم وأما اليهود فلم ينقل أحد أنهم منعوا من دخول المساجد وإنما ذكر الله عنهم أنهم عابوا المسلمين بالتوجه إلى القبلة وفرق ما بينهما ولو قال أن يتوجه إليها لكان لما قاله وجه وأيضاً هذا الذم لمن منع مساجد الله فيعم جميع المساجد كما قاله ابن العربي والقرطبي فتخصيصه بما قال يحتاج إلى دليل والله أعلم

الموضع السابع

قال في الجزء الأول ص ١٢٨ على قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾الآيات قال فيتوجه الفرد إلى قبلة حين يتوجه إلى الله بكليته بقلبه وحواسه وجوارحه فتتم الوحدة والإنتساق بين كل قوى الإنسان في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في مكان وإن يكن الإنسان يتخذ له قبلة من مكان.

أقول قوله في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في مكان هذا قول أهل البدع كالجهية والمعتزلة والأشاعرة وأما أهل السنة والجماعة فلا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله ﷺ لا يتجاوزون القرآن والحديث فيثبتون علو الرب عز وجل واستواءه على عرشه كما قال تعالى: ﴿ وهو العلي الكبير ﴾ .

وقال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾وأما أهل البدع فلا يثبتون ما ورد أو يثبتون بعض الصفات دون بعض ويبتدعون ألفاظاً موهمة يظن الظان أنهم ينزهون الرب عز وجل بها عن النقائص والعيوب ومقصودهم بها نفي الصفات كالجسم والتحيز والجوهر والعرض قال الشيخ تقي الدين بعد كلام له في الرد على من قال إنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض قال رحمه الله فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والحيز ونحو ذلك من الألفاظ إلى أن قال شيخ الإسلام والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره.

ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة كلفظ الجسم والحيز ولم يوافقوهم لا على إطلاق الأثبات ولا على إطلاق النفي انتهى من الدرد السنيه ج٢ : ص ٣٦٠ وقال شيخ الإسلام أيضاً بعد كلام له سبق عن المعتزلة وكذلك إذا قالوا إن الله منزه عن الحدود والأحياز والجهات أوهموا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ولا تحويه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس مبايناً للخلق ولا منفصلاً عنه وأنه ليس فوق السماوات رد ولا على العرش إله وأن محمداً لم يعرج به إليه ولم ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء ولا يتقرب إليه بشيء ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ولا غيره ونحو ذلك من معاني الجهمية انتهى من كتاب العقل والنقل والله أعلم .

الموضع الثامن

قال في الجزء الأول ص ١٦١ على قوله تعالى: ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتابة والنبيين وآتي المالي على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ الآية ، قال وإيتاء الزكاة إنه الوفاء بضريبة الإسلام الإجتماعية إلى آخره .

أقول تسميته الزكاة ضريبة خلاف ما سماها به الله في كتابه وسماها به رسول الله ﷺ وعلماء المسلمين قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ الآية وقال ﷺ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن أخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم متفق عليه .

وقال ابن عباس فرض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين الحديث رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم وإنما تطلق الضريبة على ما يفرضه الناس بعضهم على بعض كضريبة العبد وهو ما يجعله عليه سيده أو ما يفرضه الأمراء على الناس قهراً كما أشار إليه في آية سورة براءة والله أعلم.

الموضع التاسع

قال في الجزء الأول ص ١٧١ على قوله تعالى : ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن** ﴾ قال الشهر الذي أنزل فيه القرآن إما بمعنى أن بدء نزوله كان في رمضان أو أن معظمه نزل في أشهر رمضان .

أقول ترك القول الذي حكاه جميع المفسرين وهو ما رواه النسائي وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر فجعل في بيت العزة ثم أنزل على النبي ﷺ في عشرين سنة جواب كلام الناس. ويؤيده حديث واثلة بن الأسقع قال أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لستّ مضين من رمضان وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان، رواه أحمد وابن جرير ومحمد بن نصر والطبراني وغيرهم والله أعلم.

الموضع العاشر

قال في الجزء الأول ص ١٩٤ على قوله تعالى : ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ قال فالعمرة ليست فريضة عند الجميع .

أقول قوله ليست فريضة عند الجميع ليس كما قال بل قد أوجب العمرة بعض العلماء قال ابن هبيرة في الإفصاح ص ١٨١ وأجمعوا على أن العمرة مشروعة بأصل الإسلام قال الله عز وجل وأتموا الحج والعمرة لله ثم اختلفوا في وجوبها فقال الشافعي في قوله الجديد وأحمد هي واجبة وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي في قوله القديم هي سنة، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ ٢٦ : ص ٥ والعمرة في وجوبها قولان للعلماء في مذهب الشافعي وأحمد والمشهور عنهما وجوبها والقول الآخر لا تجب وهو مذهب أبي حنيفة ومالك. والله أعلم.

الموضع الحادي عشر

قال في الجزء الأول ص ٢٢٨ على قوله تعالى : ﴿ ومن يتردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم ﴾ الآية قال والحبوط مأخوذ من حبطت الناقة إذا رعت مرعى خبيثاً فانتفخت ثم نفقت .

وذكر مثله على قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ﴾ ص ٣٨١ وكرره في عدة مواضع .

أقول تخصيصه ذلك برعي المرعى الخبيث فيه نظر قال في لسان العرب ٧ : ٢٧ قال ابن سيدة : والحبط وجع يأخذ البعير في بطنه عن كلإٍ يَسْتَوْبِلُه ، وقد حبط حبطاً فهو حبط وإبل حباطي وحبطة وحبطت الإبل تحبط قال الجوهري الحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها إلخ .

وقال ابن الأثير في النهاية ١ : ٣٣١ حبط عمله يحبط وأحبطه غيره وهو من قولهم حبطت الدابة حبطاً بالتحريك إذا أصابت مرعى طيباً فافرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت. وقال ابن حجر في فتح الباري ١١ : ٢٤٧ قوله حبطاً أويلم أما حبطاً فبفتح المهملة والموحدة والطاء مهملة أيضاً والحبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل يقال حبطت الدابة تحبط حبطاً إذا أصابت مرعى طيباً فامعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت . والله أعلم.

الموضع الثاني عشر

قال في الجزء الأول ص ٢٣ وبذلك ينتهي وضع الرق نهاية طبيعية مع الزمن لأن إلقاءه دفعة واحدة كان يؤدي إلى هزة لا ضرورة لها وإلى فساد في المجتمع أمكن اتقاؤه. أقول وضع الرق إن كان قصده رق القهر الذي ليس له مسوغ شرعي كأن يستولي على حر فيستعبده ويسترقه كما يحصل في بعض الأوقات فهذا يجب وضعه وإن كان قصده وضع رق الكفار إذا دعوا إلى الإسلام فأبوا ثم سئلوا الجزية إن كانوا ممن تؤخذ منهم فأبوا أو لم يكونوا من أهلها فإنهم يقاتلون فإذا استولى عليهم جاز استرقاق نسائهم وأولادهم وصاروا عبيداً للمسلمين وهذا هو الذي استمر عليه عمل المسلمين من وقت رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا وهذا لا يوضع ما دام الجهاد باقياً كما قال ﷺ لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وهو في الصحيح ولكن إذا رأى الإمام المن على بعض الأسرار أو فداءهم لمصلحة جاز ذلك كما فعل النبي ﷺ في أهل الطائف وقد ذكره الفقهاء في كتبهم والله أعلم.

الموضع الثالث عشر

قوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العبو﴾الآية١ : ٢٣١ قال والزكاة وحدها لا تجزيء النص ولم تنسخه آية الزكـاة ولم تخصصه فيما أرى فالزكاة لا تبريء الذمة إلاّ بإسقاط الفـريضة ويبقى التـوجيه إلى الإنفاق قائماً، إن الزكـاة هي حق بيت مال المسلمـين تجبيها الحكـومة التي تنفـذ شريعة الله وتنفقهـا في مصارفهـا المعلومة ولكن يبقى بعـد ذلك واجب المسلم لله ولعباد الله والزكاة قـد لا تستغرق الفضـل كله والفضل كله محل للإنفاق بهـذا النص الواضـح ولقولـه عليه الصـلاة والسلام«في المال حق سوى الزكاة حق»قد يؤديه صاحبه ابتغاء مـرضاة الله ، وهذا هو الأكمـل والأجمل فـإن لم يفعل واحتـاجت إليه الـدولة المسلمة التي تنفذ شريعة الله أخذته فأنفقته فيما يصلح الجماعة المسلمة كي لا يضيع في الترف المفسد أو يقبض عن التعامل ويخزن ويعطل .

الكلام على هذا من وجوه الأول قوله ويبقى التوجيه إلى الانفاق قائما إن كان قصده وجوبه دائماً فهذا ليس بصحيح لما روى طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه قال جاء رجل يمن أهل نجد ثائر الرأس فذكر الحديث وفيه أنه سأله عن الزكاة فقال هل علي غيرها قال لا إلا أن تطوع متفق عليه ، وعن خالد بن أسلهم قال خرجنا مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فقال أعرابي أجزني عن قول الله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ قال ابن عمر رضي الله عنهما من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهراً

للأموال » رواه البخاري وعن أم سلمة أنها كانت تلبس أوضاحاً من ذهب فقالت يا رسول الله أكنز هو فقال : « ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي فلس بكنز » رواه أبو داود والحاكم قال العراقي سنده جيد .

وإن كان قصده وجوبه لعارض كنفقة زوجة وقريب ونحوهما وإكرام ضيف وعارية ماعون ودلو ونحو ذلك فهذا حق قد دلت عليه الأدلة الشرعية وكذلك الجهاد على قول بعض العلماء.

الثاني قوله ولكن يبقى بعد ذلك واجب المسلم جوابه أن يقال قد تقدم ما يدل على أنه لا يجب شيء من ذلك إلا الزكاة أو الجهاد لمن لم يجاهد بيده ولسانه على قول بعض العلماء كما أشار إليه العلامة ابن القيم في زاد المعاد ٢ : ٥٨ . قال تعالى : **﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾** فقرن بينهما ومعلوم وجوب الجهاد بالنفس وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم » . رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .

الثالث قوله والفضل كله محل للإنفاق. إن أراد ما تقدم فهو حق وإن أراد غيره فعليه الدليل وقد كان النبي ﷺ يحض أصحابه على الإنفاق ولم يجبرهم على ذلك إلا في الزكاة كما كان يبعث إليهم المصدقين فدل على أن أخراج الفضل ليس بواجب.

الرابع قوله: ولقوله عليه السلام «في المال حق سوى الزكاة» أقول جزمه بإضافة هذا الحديث إلى النبي ﷺ فيه نظر وقد اختلف في ثبوته رواه الترمذي عن فاطمة بنت قيس وقال هذا حديث إسناده

ليس بذاك وأبو حمزة ميمون الأعور يضعف وروى بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي هذا الحديث قوله وهذا أصح قال في تحفة الأحوذي على قوله وأبو حمزة يضعف في الحديث قال أحمد متروك الحديث وقال الدارقطني ضعيف وقال البخاري ليس بالقوي عندهم وقال النسائي ليس بثقة كذا في الميزان انتهى من ٣: ٣٢٧.

الخامس قوله فإن لم يفعل أخذته فأنفقته فيما يصلح الجماعة المسلمة أقول هذا مردود لوجوه الوجه الأول أن هذا يخالف ما تقدم من الأدلة الدالة على أنه لا يجب إلا الزكاة أو الحقوق العارضة كنفقة واجبة أو حق ضيف ونحو ذلك الوجه الثاني أن النبي ﷺ عرض في زمنه حاجات ولم ينقل عنه إلزام أحد بإخراج ماله وإنما كان يحثهم على الإنفاق ولم يلزمهم كما فعل في غزوة العسرة وقد كان فيهم أغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وبعض الأنصار.

الوجه الثالث أن هذا يخالف إجماع الصحابة فقد عرضت لهم أزمات كعام الرمادة في خلافة عمر رضي الله عنه ولم ينقل عنه أنه أخذ من أحد منهم شيئاً قهراً ولا ألزم أحداً بذلك إلا شيئاً طابت به أنفسهم.

الوجه الرابع أن هذا يخالف ما صح عنه ﷺ أنه قال«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا متفق عليه وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا يحل لامرىء أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه رواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما والبيهقي.

السادس قوله كي لا يضيع في الترف المفسد جوابه أن يقال إنه

إذا ضيعه في الترف المفسد فإنه يحجر عليه ويمنع من التصرف فيه حتى يترك هذا التصرف ويتصرف في ماله تصرفاً مأذوناً له فيه ولا يؤخذ ماله فيعطى غيره بغير طيب نفس منه والدليل ما رواه الشافعي والدارقطني عن عروة بن الزبير أن عبدالله بن جعفر أتى الزبير فقال إني اشتريت بيع كذا وكذا،وإن علياً يريد أن يأتي أمير المؤمنين فيسأله أن يحجر عليّ فيه.فقال الزبير أنا شريكك في البيع، فأتى علي عثمان فقال إن ابن جعفر اشترى بيع كذا وكذا فاحجر عليه،فقال الزبير فأنا شريكه في البيع،فقال عثمان كيف أحجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير قال القرطبي في تفسيره ٥ : ٣١ فقول عثمان كيف أحجر على رجل دليل على جواز الحجر على الكبير هـ وقال الحافظ في التلخيص الحبير ٣ : ٤٣ قال البيهقي يقال أن أبا يوسف تفرد به وليس كذلك ثم أخرجه من طريق الزبير المدني القاضي عن هشام نحوه وروى أبو عبيد في كتاب الأموال عن عفان عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال قال عثمان لعلي ألا تأخذ على يدي ابن أخيك يعني عبدالله بن جعفر وتحجر عليه إلخ .

السابع قوله أو يقبض عن التعامل أو يخزن ويعطل جوابه أن يقال التعامل به ليس بواجب والإنسان يتصرف في ماله إذا لم يكن محجوراً عليه إن شاء وإن شاء لم يتصرف فيه وكذلك له أن يخزنه إذا أدى فيه الواجب ولكن الأولى أن يصرفه في وجوه الخير كما قال تعالى **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾** الآية ولو كان الإنسان يؤخذ منه ماله قهراً لم يرث أحد أحداً شيئاً ولم يحتج إلى معرفة قسمة المواريث ومعلوم أن هذا خلاف ما ذكره الله ورسوله وما ذكره العلماء فعلم أن الإنسان له أن يتصرف في ماله وله أن يبقيه بعد أن يؤدي الواجب فيورث عنه ولا يؤخذ منه قهراً والله أعلم .

الموضع الرابع عشر

قال في الجزء الأول ص ٢٥٥ على قوله تعالى: ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به ﴾ الآية قال ولها أن تزوج نفسها ممن ترضى .

أقول قوله ولها أن تزوج نفسها ممن ترضى قول مردود ومسبب لفتح باب الفجور وإليك كلام العلماء في هذه المسألة قال في المغنى: إن النكاح لا يصح إلا بولي ولا تملك المرأة تزويج نفسها ولا غيرها ولا توكيل غير وليها في تزويجها فإن فعلت لم يصح النكاح روي هذا عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم وإليه ذهب سعيد بن المسيب والحسن وعمر بن عبد العزيز وجابر بن زيد والثوري وابن أبي ليلى وابن شبرمة وابن المبارك وعبيدالله العنبير والشافعي وإسحاق وأبو عبيد وروي عن ابني سيرين والقاسم بن محمد والحسن بن صالح وأبي صالح وأبي يوسف لا يجوز لها ذلك بغير إذن الولي فإن فعلت كان موقوفاً على إجازته وقال أبو حنيفة لها أن تزوج نفسها وغيرها ثم قال ولنا أن النبي ﷺ قال لا نكاح إلا بولي قال المروذي سألت أحمد ويحيى عن حديث لا نكاح إلا بولي فقالا صحيح اهـ. وبإختصار .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هي التي تزوج نفسها » رواه ابن ماجة والدارقطني قال الحافظ ابن حجر ورجاله ثقات والله أعلم .

الموضع الخامس عشر

قال في الجزء الأول ص ٢٥٧ على قوله تعالى: ﴿ **متاعاً بالمعروف حقاً على المسحنين** ﴾ قال فللزوجة ولوليها إن كانت صغيرة أن تعفو وتترك ما يفرضه القانون .

أقول إسناده الغرض إلى القانون مما ينكر عليه لأنه بين أمرين إن كان يقصد الكتاب والسنة فقد أخطأ في تسميته قانونا فإنه يسمى حكماً شرعياً لا قانوناً ولذلك لم يرد تسميته بذلك لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام العلماء وإنما سماه به من اتصل بالغربيين وتأثر بهم فلا ينبغي للمسلم أن يعدل عن الإسم المعروف في الكتاب والسنة ومضى عليه خيار الأمة إلى اسم مبتدع قد صار شعاراً لمن يحكم بغير ما أنزل الله .اهـ. وإن كان قصده بالقانون نظاماً غير ما دل عليه الكتاب والسنة فشناعة مثل هذا أشهر من أن ينبه عليها في هذا المختصر قال الشيخ محمد بن إبراهيم في رده على محكمي القوانين إن «من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين،على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين ، والرد إليه عند منازع تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ الآية وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكم النبي ﷺ فيما شجر بينهم نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لايؤمنون**

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

قال وتأمل ما في الآية الأولى وهي قوله تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ الآية كيف ذكر النكرة وهي قوله شيء في سياق الشرط وهو قوله جل شأنه ﴿ فإن تنازعتم ﴾ المفيد العموم فيما يتصور التنازع فيه جنساً وقدراً .

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطاً في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر بقوله ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ ثم قال جل شأنه ﴿ ذلك خير ﴾ فشيء يطلق الله عليه أنه خير لايتطرق إليه شر أبداً بل هو خير محض عاجلاً وآجلاً .

ثم قال وأحسن تأويلاً أي عاقبة في الدنيا والآخرة فيفيد أن الرد إلى غير الرسول ﷺ عند التنازع شر محض وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة عكس ما يقوله المنافقون إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً وقولهم إنما نحن مصلحون.

ولهذا رد الله عليهم قائلاً ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾، وعكس ما يقوله القانونيون من حكم على القانون بحاجة العالم بل ضرورتهم إلى التحاكم إليه وهذا سوء ظن صرف بما جاء به الرسول ﷺ ومحض استنقاص لبيان الله ورسوله والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن هذا لازم لهم.

قال وقد نفى الله الإيمان عن من أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ من المنافقين كما قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى

الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾.

فإن قول يزعمون تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبد أصلاً بل أحدهما ينافي الآخر والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول ﷺ أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبي ﷺ فمن حكم بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكماً أو تحكيماً فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه حده.

قال وتأمل قوله عز وجل وقد أمروا أن يكفروا به تعرف منه معاندة القانونيين وإرادتهم خلاف أمر الله لهم حول هذا الصدد فالمراد منهم شرعاً والذي تعبدوا به هو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم وثم تأمل قوله ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً كيف دل على أن ذلك ضلال وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى كما دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان وما بعث به سيد ولد عدنان معزولاً من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن إلخ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

والذي تكرر عنه واشتهر في هذا الكتاب هو وجوب تحكيم الشرع وقد شن الغارة على من يحكم بغير ما أنزل الله أو يطلب ذلك أو يحسنه فلعله جرى في كلامه من غير قصد منه لما يقصده القانونيون والله أعلم.

الموضع السادس عشر

قال في الجزء الأول ص ٢٦٤ على قوله تعالى: ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم** ﴾ .

كيف هل بعثهم من موت ورد عليهم الحياة، هل خلف من ذريتهم خلف تتمثل فيه الحياة القوية فلا يجزع ولا يهلع هلع الآباء ذلك كذلك لم يرد عنه تفصيل فلا ضرورة لأن نذهب وراءه في التأويل لئلا نتيه في أساطير لا سند لها كما جاء في بعض التفاسير إنما الإيحاء الذي يتلقاه القلب من هذا النص أن الله وهبهم الحياة من غير جهد منهم في حين أن جهدهم لم يرد الموت عنهم. أقول قوله هل بعثهم من موت ورد عليهم الحياة. هذا ظاهر القرآن وهو الذي قاله أهل التفسير كما رواه ابن جرير عن ابن عباس قال كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون قالوا نأتي أرضاً ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم موتوا فماتوا فمر عليهم بني من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فاحياهم فذلك قوله عز وجل ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت**﴾ لآية وبهذا صرح ابن جرير وابن الجوزي والبغوي وابن كثير والخازن والشوكاني وغيرهم في تفاسيرهم.

وقوله هل خلف عن ذريتهم خلف تتمثل فيه الحياة القوية،

أقول هذا فيه نظر لأنه خلاف ظاهر الآية والعدول عن الظاهر يحتاج إلى دليل وأيضاً هذا خلاف ما قاله المفسرون فيكون مردوداً.

وقوله فلا ضرورة لأن نذهب وراءه في التأويل لئلا نتيه في أساطير لا سند لها كما جاء في بعض التفاسير أقول لقد وقع فيما فرّ منه أو أعظم وذلك أنه ترك ما قاله المفسرون، ثم قال ما لم يسبق إليه وهو قوله هل خلف من ذريتهم خلف تتمثل فيه الحياة القوية إلخ كلامه وهذا في الحقيقة تناقض والله أعلم.

الموضع السابع عشر

قال في الجزء الأول ص ٢٩٠ ـ على قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما** ﴾ وقد جاء التعبير في هذه الصورة الحسية في موضع التجريد المطلق ، على طريقة القرآن في التعبير التصويري ، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوة وعمقاً وثباتاً . فالكرسي يستخدم عادة في معنى الملك فإذا وسع كرسيه السماوات والأرض فقد وسعها سلطانه وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية ولكن الصورة التي ترتسم في الحس من التعبير بالمحسوس أثبت وأمكن . وكذلك التعبير بقوله « ولا يؤوده حفظهما » فهو كناية عن القدرة الكاملة ولكنه يجيء في هذه الصورة المحسوسة . صورة انعدام الجهد والكلال . لأن التعبير القرآني يتجه إلى رسم صور للمعاني تجسمها للحس ، فتكون فيه أوقع وأعمق وأحسن .

ويحسن أن اضيف هنا أنني لم أعثر على احاديث صحيحة في شأن الكرسي والعرش تفسر وتحدد المراد مما ورد منها في القرآن ومن ثم أوثر أن لا اخوض في شأنها بأكثر من هذا البيان .

الكلام على هذا من وجوه

١ ـ الوجه الأول قوله فالكرسي يستخدم في معنى الملك كلام باطل لأن الملك عام للكرسي وغيره وأما الكرسي فهو كما قال ابن عباس رضي الله عنهما موضع القدمين رواه ابن خزيمة في كتاب

التـوحيـد ص ١٠٧ ، ص ١٠٨ والحـاكم وقـال صحيـح عـلى شرط الشيخين.

٢ ـ الوجه الثـاني أن هذا الكـلام يدل عـلى نفي الكرسي وهـو باطل بالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فمثل هذه الآية وأما السنـة فقـد دل على اثبـات الكـرسي أحـاديث كثـيرة من ذلـك حـديث ابن مسعود الذي رواه البيهقي في الاسماء والصفات وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١٠٥ وقال ما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسـمائة عام وما بين الكرسي إلى المـاء مسيرة خمسـمائة عـام والعرش عـلى الماء وهذا وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع لأن مثله لا يقال بالرأي.

٣ ـ الوجه الثالث قولـه لم أعثر في شـأن الكرسي والعـرش على أحاديث صحيحة جوابه أن يقال له قـد ثبت في شأنهما أحـاديث كثيرة في الصحاح والسنن وغيرها أشير إلى بعضها منها حـديث ابن مسعود المذكور ومنهـا حديث العبـاس الذي رواه أبـو داود والبيهقي وسكت عليه أبو داود ومنها حديث أبي هريرة في الصحيحـين قال قـال رسول الله ﷺ إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأواسط الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنهـا حديث جـويريـه عن النبي ﷺ أنها علمها أن تقـول سبحان الله زنـة عرشـه رواه مسلم والأحاديث والآثـار في ذلك كثيرة والله أعلم.

سورة آل عمران

الموضع الثامن عشر

قال في الجزء الأول ص ٣٥٢ قال وتذكر عدة روايات أن الآيات ص ١ - ٨٣ نزلت في الحوار مع وفد نصارى نجران اليمن الذي قدم المدينة في السنة التاسعة للهجرة،ونحن نستبعد أن تكون السنة التاسعة هي زمن نزول هذه الآيات، فواضح من طبيعتها وجوهاً أنها نزلت في الفترة الأولى من الهجرة حيث كانت الجماعة المسلمة بعد ناشئة،وكان لدسائس اليهود وغيرهم أثر شديد في كيانها وفي سلوكها وسواء صحت رواية ان الآيات نزلت في وفد نجران أم لم تصح.

أقول قوله ونحن نستبعد أن تكون التاسعة هي زمن نزول هذه الآيات إن كان قصده أن بعض الآيات نزل قبل التاسعة فصحيح كقوله تعالى : ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد، قد كان لكم آية في فئتين التقتا** ﴾ الآية قال ابن كثير وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار عن عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً فقالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا فأنزل الله في ذلك من قوله ﴿ **قل للذين**

كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد إلى قوله لعبرة لأولي الأبصار ﴾ وقد رواه محمد بن إسحاق أيضاً عن محمد بن أبي محمد عن سعيد وعكرمة عن ابن عباس فذكروه . وإن كان قصده أنها لم تزل فيهم مطلقاً فهذا ليس بصحيح لأن المفسرين ذكروا ذلك ولم يردوه قال ابن جرير في تفسيره على قوله تعالى : ﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب** ﴾ الآية وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه ﷺ على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى إلخ وكذا قال ابن كثير والقرطبي والشوكاني والبغوي والخازن وغيرهم تفاسيرهم . وقد أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال قدم على النبي ﷺ العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام فقالا أسلمنا يا محمد قال كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما فذكر الحديث قال جابر فيهم نزلت ﴿ **تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** ﴾ الآية وأخرج عبدالرزاق والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال لو بأهل أهل نجران رسول الله ﷺ لرجعوا لايجدون أهلاً ولا مالاً انتهى من الدر المنثور وذكر في سبب نزولها عن ابن عباس والشعبي وقتادة وعلباء بن أحمر نحو ذلك .

نحو ذلك .

وقوله وسواء صحت رواية أن الآيات نزلت في وفد نجران أم لم تصح . أقول كأنه متوقف في ذلك وهذا يدل على أنه لم يطلع على هذه الروايات الكثيرة الصحيحة وأقوال المفسرين أو لم يتأملها وإلا لم يتوقف في صحة ذلك . وقد صح نزولها فيهم كما في هذه الروايات وغيرها والله أعلم .

الموضع التاسع عشر

قال في الجزء الأول ص ٣٨٥ على قوله تعالى : **﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾**الآية قال ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضي أن يحكم كتاب الله في الحياة سواء كانت الموالاة بمودة القلب أو بنصرة أو باستنصاره سواء. أقول قوله باستنصاره إن كان مراده أن من استعان بالكفار في الحرب خارج من الإسلام فهذا مخالف لما ذكر العلماء في كتب الفقه قال في «المبدع شرح المقنع» على قوله ولا يستعين بمشرك إلاّ عند الحاجة إليه لما روت عائشة «أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فقال له تؤمن بالله ورسوله قال: لا، قال: فارجع فلن أستعين بشرك» متفق عليه[1] ولأن الكافر لا يؤمن مكره وعائلته لخبث طويته والحرب تقتضي المناصحة والكافر ليس من أهلها إلاّ عند الحاجة إليه كذا ذكره جماعة لما روى الزهري أن النبي ﷺ استعان بناس من المشركين في حربه رواه سعيد ويروى أيضاً أن صفوان بن أمية شهد حنيناً مع النبي ﷺ وبهذا حصل التوفيق بين الأدلة إلخ وقال في الشرح الكبير وبه قال الشافعي. فانظر كيف ذكروا الخلاف ولم يقل أحد منهم بخروج من استعان بهم من الإسلام. اللهم إلاّ إن كان قصده الاستعانة والاستنثار بهم من غير حاجة بل محبة لهم ومودة ولكن هذا داخل في مودة القلب الذي أشار إليه والله أعلم

---

(١) قلت انه لم يخرجه البخاري انما هو في مسلم.

الموضع العشرون

قال في الجزء الأول سورة آل عمران ص ٣٩٨

والله سبحانه يقول إن النفخة من روحه في آدم هي التي جعلت له هذا الامتياز والكرامة حتى على الملائكة فلا بد إذن أن تكون شيئاً آخر غير مجرب الحياة الموهبة للدود والميكروب وهذا ما يقودنا إلى اعتبار الإنسان جنساً نشأ نشأة ذاتية وأن له اعتباراً خاصاً في نظام الكون ليس لسائر الأحياء، إلى أن قال: أهذه النفخة هي الكلمة . آلكلمة هي توجه الإرادة ؟ آلكلمة « كن » التي قد تكون حقيقة وقد تكون كناية عن توجه الإرادة ؟ والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته وكل هذه بحوث لا طائل تحتها .

أقول الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول إن كان قصده أن الله شرفه بقوله﴿ونفخت فيه من روحي﴾مع أنه مخلوق فهذا حق وإن كان قصده أنه من ذات الله بمعنى أنه بعض من الله فهذا أقبح من قول النصارى القائلين باتحاد اللاهوت بالناسوت. قال شيخ الإسلام المضاف إلى الله إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله قائمة به وإن كان عيناً قائماً بنفسها كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفة لله لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

الوجه الثاني قوله النفخة هي الكلمة إن اراد أنه بالكلمة،أي يكن كان وليس هو كن ،فهذا حق،وقوله توجه الإرادة صرف للفظ عن ظاهره وهو باطل،وقوله الكلمة«كن»التي قد تكون حقيقة هذا ترد هل هي قوله كن حقيقة ومعلوم أن هذا خلاف قول أهل السنة لأنهم يقولون«كن»من الله قول،وهذا حقيقة كلام الله وأمّا من لم يقل هذا فهو جهمي وقوله كناية عن توجه الإرادة إبطال لكلام الله تعالى حقيقة وتعطيل لصفة الكلام قال في تيسير العزيز الحميد ص ٦٣ .

قال الإمام أحمد فيما أملاه في الرد على الجهمية:الكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو «كن»ولكن بكن كان فكن من الله قول وليس كن مخلوقا وكذب النصارى والجهميه على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالت عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقه،وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله؛ وكلمة الله من ذات الله؛كما يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب،وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة انتهى ، يعني به ما قال قتادة وغيره نحوه فهذا كما ترى جمع في كلمه بين حق وباطل ، وبين قول أهل السنة وقول الجهمية ، ولو رجع إلى كلام المفسرين المحققين وأهل السنة لهدي إلى الصواب .

الوجه الثالث قوله وهذه بحوث لا طائل تحتها إن كان مراده قول أهل السنة والجماعة فهذا ممنوع فقد قالوا به واعتقدوه وإن كان مراده أقوال أهل البدع والنصارى فهذا لا يذكر إلا ليرد وهذا القائل ساق الجميع ولم يميز بينها ولم يحق الحق ويبطل الباطل فهذا هو الذي لا طائل تحته بل فيه الشك والحيرة والضلال والله أعلم.

الموضع الحادي والعشرون

قال في الجزء الأول ص ٤٣٩ على قوله تعالى : ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾ قال وقال الحافظ أبو يعلي حدثنا حماد عن الشعبي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني » .

قوله قال الحافظ أبو يعلى حدثنا حماد عن الشعبي إلخ في الإسناد سقط لأن أبا يعلى لم يدرك أحداً من أصحاب الشعبي بل أقل ما بينه وبين الشعبي ثلاثة كما لا يخفى عند أهل هذا الشأن لأن الشعبي توفي سنة ثلاثة ومائة وأبو يعلى مولده سنة عشر ومائتين وقوله حماد عن الشعبي إنما المعروف رواية مجالد عن الشعبي كما رواه الإمام أحمد راجع تفسير ابن كثير ج٢ : ص ٤٦٧ فلعله تصحف مجالد وصار حماداً والله أعلم.

الموضع الثاني والعشرون

قال في الجزء الأول ص ٤٤٩ على قوله تعالى﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ قال وقد آمن من أهل الكتاب جماعة وحسن إسلامهم منهم عبدالله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن شعبه وكعب بن مالك، أقول قوله شعبه تصحيف ما من المؤلف أو من الكاتب وإنما هو«سعيه»كما ذكره في الإصابة وقوله كعب بن مالك وهم فليس في الصحابة من اسمه كعب بن مالك إلا اثنان أحدهما الأنصاري السلمي أحد الثلاثة الذين تيب عليهم والآخر من عبد القيس كما في الإصابة ج٣: ص ٣٠٢ وأما اليهود فلم يسلم منهم أحد اسمه كعب بن مالك ولعل أراد كعب الأحبار وليس بصحابي على الراجح ولا اسمه كعب بن مالك وإنما هو كعب بن ماتع كما ذكره الحافظ في الإصابة في ترجمته ورجح أنه ليس بصحابي ولم يسلم إلا في خلافة عمر ج٣: ص ٣١٥و ٣١٦ والله أعلم.

الموضع الثالث والعشرون

قال في الجزء الأول ص ٤٦٢ عند ذكر أحد وكانت الدولة أول النهـار للمسلمـين عـلى الكفـار حيث قتـل من هؤلاء سبعـون من صناديدهم وانهزم أعـداء الله وولوا مـدبرين حتى انتهـوا إلى نسائهم وكذلك ذكر في ص ٤٨٠ قال وقـد يكون إشـارة إلى غزوة أحـد وقد انتصر فيهـا المسلمون في أول الأمـر حتى هـزم المشركـون وقتـل منهم سبعون أقول قوله قتل منهم سبعون وهم منـه والمقتول منهم أقـل من هذا بكثير قال ابن عبد البر في الدرر ص ١١٢ وقتل من كفار قـريش يوم أحد اثنان وعشرون رجلاً وقال ابن كثير في البداية ٤ : ٤٦ وسرد ابن إسحاق أسماء الذين قتلوا من المشركين وهم اثنان وعشرون رجلاً وإنما قتل منهم سبعون يوم بدر والذين قتل منهم سبعون يـوم أحدهم المسلمون كما لا يخفى وهذا أمر مشهور عند الخـاص والعام لا يحتـاج إلى التنبيه عليه، والله أعلم.

الموضع الرابع والعشرون

قال في الجزء الأول ص ٤٨٠ على قوله تعالى : ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون** ﴾ الآية قال ومنهجكم أعلى فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله .

أقول قوله على منهج من صنع الله من جنس قول أهل البدع في القرآن وأما أهل السنة فيقولون القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وقد بسط الرد عليه باطول من هذا في الكلام على آية سورة مريم وناديناه من جانب الطور الأيمن وأول سورة ص والله أعلم .

سورة النساء

الموضع الخامس والعشرون

قال في الجزء الأول ص ٥٧٨ على قوله تعالى: ﴿**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾ الآية روى البخاري بإسناده أن غيلان بن سلمة الثقفي يسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي ﷺ اختر منهن أربعا . وروى أبو داود بإسناده أن عميرة الأسدي قال أسلمت وعندي ثماني نسوة فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال اختر منهن أربعا .

الكلام عليه من وجهين

الأول قوله روى البخاري بإسناده إلخ الحديث وهم منه لم يروه البخاري وإنما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم راجع بلوغ المرام ومنتقى الأخبار وتحفة الأشراف وقد أعله البخاري كما ذكره الترمذي .

الوجه الثاني قوله وروى أبو داود بإسناده عن عميرة الأسري إلخ وهم وإنما الذي عند أبي داود عن قيس بن الحارث قال أسلمت وعندي ثمان نسوة إلخ قال المنذري وأخرجه ابن ماجه وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد ضعفه غير واحد من الأئمة وقال أبو القاسم البغوي ولا أعلم للحارث بن قيس حديثاً غير هذا. والله أعلم .

الموضع السادس والعشرون

قال في الجزء الثاني ص ٦٦٩ وطريقة التيمم إما خبطة واحدة بالكفين إلخ .

أقول قوله طريقة التيمم لو قال وصفة التيمم لكان أولى لأن هذا هو الذي يعبر به الفقهاء في كتب الفقه كما لايخفى على من طالع كلامهم .

وقوله خبطة لو قال ضربة لكان أولى لأن هذا هو الذي ورد في الحديث وصرح به العلماء روى البخاري ومسلم عن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال له إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا وضرب النبي ﷺ بيديه الأرض إلخ الحديث وأما الخبطة فهي الضربة الشديدة قال في القاموس خبطه يخبطه ضربه شديداً وكذا البعير بيده الأرض. ولذلك قال في سورة المائدة فيضرب بكفيه .

وقوله ثم مسح اليدين إلى المرفقين خلاف الراجح لأن ذلك لم يذكر في حديث عمار الذي في الصحيح وإنما أطلق اليدين ولم يقل إلى المرفقين كما قاله في الوضوء وإذا أطلقت فهي إلى الكوع كما في آية السرقة وأما الأحاديث التي فيها مسح اليدين إلى المرفقين فهي لا تخلو من مقال كما بينه المنذري في مختصر أبي داود وغيره، والله أعلم .

الموضع السابع والعشرون

قال في الجزء الثاني ص ٧٩٨ على آية النساء ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ﴾ الآيات إن الإيمان وحدة لا تتجزأ .

أقول هذا خلاف قول أهل السنة والجماعة لأن عندهم أن الإيمان ذو شعب كما في الحديث المتفق عليه «الإيمان بضع وسبعون شعبة والناس متفاضلون فيه وأما من يقول إن الإيمان شيء واحد فهم أهل البدع كالمرجئة والخوارج ونحوهم فإن المرجئة يقولون هو التصديق والأعمال ليست من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية والخوارج يقولون إذا زال بعض الإيمان زال كله ويكفرون أهل القبلة بالذنوب قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى: الأصل الثاني أن الإيمان أصل له شعب متعددة كل شعبة منها تسمى إيماناً فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق فمنها ما يزول الإيمان بزواله إجماعاً كشعبة الشهادتين ومنها ما لايزول بزواله إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوته منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى عن الطريق ويكون إليها أقرب والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه الأمة وأئمتها وكذلك الكفر أيضاً ذو أصل وشعب فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر إلخ عن الدرر السنية ج١ :

ص ٢٣٨ إلى أنه قال: الأصل الخامس أنه لا يلزم من قيام شعبة عن شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافراً وإن كان ما قام به كفر إلخ والله أعلم.

الموضع الثامن والعشرون

قال في الجزء الثاني ص٨٠٥ على قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ فلا نعلم إلا أنه كان كلاماً ولكن ماطبيعته كيف تم بأية حاسة أو قوة كان موسى يتلقاه كل ذلك غيب من الغيب لم يحدثنا عنه القرآن وليس وراء القرآن في هذا الباب إلا أساطير لا تستند إلى برهان.

أقول قوله بأية حاسة أو قوة كان موسى يتلقاه إلخ يدل على أنه لا يعرف اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب وإلا لو عرفه لم يقل ما قاله من الخزعبلات وهذا الذي أثمره الجهل بقول أهل السنة والجماعة جره إلى أن جعل أدلة الكتاب والسنة لا تستند إلى برهان وإلا فظاهر القرآن والسنة يدلان على أن موسى سمع كلام الله بأذنيه ولذلك يقال له كليم الرحمن وقال أهل السنة إن كلام الله مسموع بالآذان سمعه من شاء الله من يخلقه كما سمعه جبريل وسمعه موسى عليه السلام بلا واسطة وقد ذكر بأبسط من هذا عند لتنبيه على قوله وناديناه من جانب الطور الأيمن والله أعلم.

الموضع التاسع والعشرون

قال في الجزء الثاني ص٨٠٧ على قوله﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾قال الإسلام يخاطب العقل بمعنى أنه يكل إليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته ولا يفرض عليه أن يؤمن بما لا يفهم مدلوله ولا يدركه فإذا وصل إلى مرحلة إدراك المدلولات وفهم المقررات لم يعد أمامه إلاّ التسليم بها فهو مؤمن أو عدم التسليم بها فهو كافر.

أقول إن كان مراده أن الحجة لا تقوم إلاّ على من فهم فهو مردود وإنما المطلوب بلوغ الحجة ممن بلغته ولم يؤمن فهو كافر سواء فهم أو لم يفهم كما قال تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾وفي الصحيح عنه ﷺ: «أنه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي أو نصراني ثم لا يؤمن بي إلاّ كان من أصحاب النار» قال عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في مصباح الظلام ص ٣٢٧ وقد نص شيخنا رحمه الله تعالى في جوابه لمن سأله عن هذه المسألة قال رحمه الله تعالى أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين بلوغ الحجة وفهم الحجة. وبلوغ الحجة لا بد منه في الحكم بما تقتضيه الحجة والدليل ، وأما فهم الحج فلايشترط قال الله تعالى : ﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ اهـ. بمعناه والله أعلم .

سورة المائدة

الموضع الثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ٨٣٧، ٨٣٨ على قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** ﴾ الآية قال ولم يكن قبل الإسلام في الجزيرة إلّا الجاهلية المتعصبة العمياء انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

والمسافة الشاسعة بين درك الجاهلية وأفق الإسلام هي المسافة بين قول الجاهلية المأثور انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

أقول لو قال تعصب الإنسان لطائفته ونصرها ظالماً أو مظلوماً لكان أحسن لأن قوله انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قد ثبت عن النبي ﷺ كما رواه أنس عن النبي ﷺ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف أنصره ظالماً قال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره» أخرجه البخاري ورواه مسلم عن جابر بمعناه . والله اعلم .

الموضع الحادي والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ٨٤٧ على قوله تعالى ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ ولو جاءت به حياً ولكنها كانت أكلت منه فلا يذكى ولو ذبح ما كان حلالاً .

أقول هذا ليس بصحيح قال تعالى ﴿وما أكل السبع إلاّ ما ذكيتم﴾ أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس «وما أكل السبع يقول ما أخذ السبع إلاّ ما ذكيتم يقول ما ذبحتم من ذلك وبه روح فكلوه». وقد نصوا على ذلك في كتب الفقه في باب الذكاة قال في «الاقناع» وكلما وجد فيه سبب الموت كالمنخنقة وهي التي تخنق في حلقها، والموقوذة وهي التي تضرب حتى تشرف على الموت، والمتردية وهي الواقعة من علو، والنطيحة وهي التي نطحتها دابة أخرى، وأكيلة السبع وهي التي أكل السبع بعضها، والمريضة وما صيد بشبكة أو أحبولة أو فخ أو أنقذه عن مهلكة فذكاه وفيه حياة مستقرة يمكن زيادتها على حركة المذبوح سواء انتهت إلى حال يعلم أنها لا تعيش معه أو يعيش حلت إن تحركت بيد أو رجل أو طرف عين أو مصع ذنب أي تحريكه ونحوه، فظهر أن ما جاء به حياً إذا ذكي حلال ولو أكل منه وإنما الممنوع ما قتله وأكل منه. والله أعلم.

الموضع الثاني والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ٨٤٨ على قوله ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ إن الإسلام لايكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية ثم يعتزلهم فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين أو منبوذين إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية والمودة والمجاملة والخلطة .

أقول ، قوله والمودة كلام باطل مناف للإيمان كما قال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ الآية فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وأن من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب وأن هذا منافٍ للإيمان مضادٍ له لا يجتمع هو والإيمان إلاّ كما يجتمع الماء والنار وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ الآية قال عبدالله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لايشعر قال فظنناه يريد هذه الآية . قال سليمان بن عبدالله الشيخ وكذلك من تولى المشركين فهو مشرك ، ومن تولى الأعاجم فهو أعجمي ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابي وغيرهم من الكفار وأهل الإيمان يبغضون اليهود والنصارى وإن كان بينهم وبينهم معاهدة وعقد ذمة ، ولا يوادونهم كما قال عبدالله بن رواحة ليهود خيبر كما عاملهم النبي ﷺ وبعثه خارصاً والله لقد جئتكم من عند خير الناس ولأنتم أبغض الي من عدتكم من القردة والخنازير ولا

يحملني حبي إيـاه وبغضي إياكم ألاّ أعـدل فيكم قـالـوا بهـذا قـامت السماوات والأرض » . فأين هذا من قوله يشملهم جو المودة وقد نقض كلامه بعد أسطر بقوله أما الولاء والنصرة فلها حكم آخر سيجيء في سياق السورة . قلت وأي فرق بين المودة والموالاة حتى تجوز هذه دون هذه والله قد حرم جميع ذلك كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة الآيات والله أعلم .

الموضع الثالث والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ٨٥٠ على قوله : ﴿ فتيمموا صعيداً طيباً ﴾ ثم يمسح بهما يديه إلى المرفقين . قلت تقدم الكلام عليه عند التنبيه على آية التيمم في سورة النساء والله أعلم .

الموضع الرابع والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ٩٨٦على قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم** ﴾ الآية .

وفي الصحيح أيضاً أن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها.

قلت ليس هدا الحديث في الصحيح ولا في السنن وإنما رواه الدارقطني وغيره راجع الأربعين النووية الحديث الثلاثين مع شرحه لابن رجب .والله أعلم.

الموضع الخامس والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ١٠٠١ على قـوله تعـالى: ﴿فلما توفيتني كنت أنت الـرقيب﴾الآية وظـاهـر النصـوص القـرآنيـة يفيـد أن الله سـبحانه قد توفى عيسى بن مريم ثم رفعه إليه وبعض الآثار تفيـد أنه حي عند الله وليس هنـاك فيما أرى أي تعارض يثير أي استشكال بـين أن يكون الله قـد توفـاه من حياة الأرض وأن يكـون حيـاً عنـده فالشهداء كذلك يموتون في الأرض وهم أحياء عند الله.

أقول تشبيهه بالشهيد باطل من وجـوه الوجـه الأول أن الشهيد قد مات وفـارق هذه الحيـاة الدنيـا ولذلـك يقسم مالـه وتعتد إمـرأته باتفاق العلماء وأما حياته فهي حياة برزخية الله أعلم بكيفيتها.

الوجه الثاني أنه قد ثبت نزول عيسى بن مـريم في آخر الـزمان كما قال تعالى﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موتـه﴾قال ابن جرير لا يبقى أحد منن أهل الكتاب بعدنزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام قال ابن كثير ولا شك أن هـذا الذي قالـه ابن جريـر هو الصحيـح لأنه المقصـود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعتـه اليهود من قتـل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنمـا شبه لهم فقتلوا الشبه،وهم لا يتبينون ذلك ثم إنه رفعه إليـه وأنه بـاق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي

سنوردها إن شاء الله قريبا فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ثم ساق الأحاديث في ذلك جـ١ : ص ٥٧٧، ص ٥٧٨. قال القاضي عياض في شرح مسلم نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم. أهـ.

الوجه الثالث أنه ثبت أن عيسى يموت في آخ الزمان فهي عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه قال أبو مودود الراوي قد بقي في البيت موضع قبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب الوجه الرابع أن هذا يستلزم إنكار نزول عيسى في آخر الزمان وبيان استلزامه لذلك أن يقال أن الشهيد قد مات الميتة التي كتبت عليه وكذلك النبي ﷺ مع أنه حي حياة برزخية أفضل من حياة الشهيد كما قال تعالى﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون**﴾وقال الصديق لما دخل على النبيﷺبعدما قبض: أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها وما كان الله ليميتك ميتتين وهو في الصحيح فيلزم من ذلك إما عدم نزول المسيح وقتله للدجال وموته في آخر الزمان وإما موت الشهداء بعد حياتهم مرة أخرى وكلاهما باطل.
بقي أن يقال ما معنى قوله تعالى﴿**توفيتني**﴾إذا كان الآن حيا وينزل في آخر الزمان ويموت قلت ذلك ابن الجوزي في تفسيره على قوله فلما توفيتني فيه قولان أحدهما بالرفع إلى السماء والثاني بالموت عند انتهاء الأجل وقال في فتح القدير فلما توفيتني قيل هذا يدل على أن الله سبحانه توفاه قبل أن يرفعه وليس بشيء لأن الأخبار قط تضافرت بأنه

لم يمت وبأنه باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان وإنما المعنى فلما رفعتني إلى السماء قبل الوفاة في كتاب الله سبحانه جاءت على ثلاثة أوجه بمعنى الموت ومنه قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ وبمعنى النوم ومنه قوله تعالى ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل** ﴾ أي ينميكم وبمعنى الرفع ومنه ﴿ **فلما توفيتني** ﴾ ، ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك** ﴾ والله أعلم .

سورة الأنعام

الموضع السادس والثلاثون

قال في الجزء الثاني أول سورة الأنعـام ص ١٠٠٧ كان التـظالم فاشياً ويعبر عنه القول المتعارف انصر آخاك ظالماً أو مظلوماً.

قلت تقدم الكلام عليه عند التنبيه على قوله تعالى : ﴿ **يا أيهـا الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله** ﴾ والله أعلم .

الموضع السابع والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ١٠٦٧ على قوله تعالى﴿ **حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**﴾. كان مالك ابن النضر وهو يحفظ أساطير فارسية عن رستم واسفنديار من أبطال الفرس الأسطوريين يجلس مجلساً قريباً من رسول الله ﷺ وهو يتلو القرآن فيقول للناس إن كان محمد يقص عليكم أساطير الأولين فعندي أحسن منها.

أقول قوله مالك بن النضر وهم وإنما هو النضر بن الحارث كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما والله أعلم.

الموضع الثامن والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ١٠٧٢ على قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهوة وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ الآية وما يمكن أن يكون وزن ساعة من نهار على هذا الكوكب الصغير إلا على هذا النحو .

أقول إطلاق اسم الكوكب على الأرض خطأ وضلال وهذا قول من يزعم أنها تسير كما تسير الكواكب وتدور على الشمس وهم أهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم من جهال المسلمين ولازم هذا القول أن تكون الأرض من جملة الزينة التي زين الله بها السماء الدنيا وجعلها رجوماً للشياطين وهو باطل بل الأرض بعيدة عن السماء فكيف تكون كوكباً من جملة الكواكب والله قد أخبر في كتابه أنه جعل الأرض فراشاً والسماء بناءً وفي آية أخرى أنه جعلها سقفاً قول على أن الأرض هي أسفل البناء وأساسه وماكان هكذا فكيف يقال أنه كوكب والله أعلم .

الموضع التاسع والثلاثون

قال في الجزء الثاني ص ١١٢٢ عند قوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ فهو صاحب السلطان القاهر وهو تحت سيطرته وقهره وهم ضعاف في قبضة هذا السلطان لا قوة ولا ناصر، هم عباد والقهر فوقهم وهم خاضعون له مقهورون أقول مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يثبتون لله تعالى العلو على ما يليق بجلال الله وعظمته علو الذات وعلو القهر وعلو القدر وأما أهل البدع فإنهم لا يثبتون علو الذات وهذا ظاهر كلامه لأنه ما قرر إلا فوقية القهر والسيطرة ولم يذكر علو الذات والآية صريحة في إثبات ذلك كما قرره أهل السنة والجماعة كابن القيم في كتاب الصواعق والذهبي في العلو وعبدالرحمن ابن حسن كما في مجموعة التوحيد والدرر السنية وغيرهم والله أعلم .

الموضع الأربعون

قال في الجزء الثاني ص ١١٥٧ ، ١١٥٨ على قوله تعالى : ﴿ **فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

إن كون الأرض تدور دورتها هذه حول نفسها أمام الشمس . وكذلك قوله في الوجه الذي بعده قلت هذا باطل وقد بسط رده في الكلام على آية يس والشمس تجري وآية تبارك هو الذي جعل لكم الأرض دلولاً فليراجع .

وكذلك ذكر على آية الأعراف قوله تعالى ولقد مكناكم في الأرض وذكره في عدة مواضع وكله مردود لا يلتفت إليه والله أعلم .

الموضع الحادي والأربعون

قال في الجزء الثالث ص ١٢٣٩ على قوله تعالى : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها ﴾ الآية قال ولقد ورد في روايات متعددة أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك ﴾ هو أشراط الساعة وعلاماتها التي لاينفع بعدها إيمان ولا عمل وعدوا من ذلك أشراطاً بعينها ولكن تأويل الآية على وفق السنة الجارية في هذه الحياة أولى فقد سبق مثله فيأول السورة وهو قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لاينظرون ﴾ والملاحظ أن السياق يكرر وهو بصدد الكلام .

قلت ما جعله أولى، خلاف الراجح الذي قاله المفسرون قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها، وكذا قال ابن كثير والبغوي والخازن وغيرهم وقال البخاري في صحيحه باب لا ينفع نفساً إيمانها ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية والأحاديث في ذلك كثيرة كما ذكرها ابن كثير في تفسير هذه الآية. ولا قول لأحد مع قول الرسول ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والله أعلم .

سورة الأعراف

الموضع الثاني والأربعون

قال في الجزء الثالث على قوله : ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ الآية (الأعراف) ولا ندخل هنا في طبيعة الوزن وحقيقة الميزان كما دخل فيه المتجادلون بعقلية غير إسلامية في تاريخ الفكر الإسلامي فكيفيات أفعال الله كلها خارجة عن الشبيه والمثيل مذ كان الله سبحانه ليس كمثله شيء وحسبنا تقرير الحقيقة التي يقصد إليها السياق من أن الحساب يومئذ بالحق وأنه لا يظلم أحد مثقال ذرة وأن عملاً لا يبخس ولا يغفل ولا يضيع .

قال في سورة المؤمنين.

فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴾ وعملية الوزن بالميزان تجري على طريقة القرن في التعبير بالتصوير وتجسيم المعاني في صور حسية وشاهد ذات حركة .

وقال في سورة القارعة:

﴿ فأما من ثقلت موازينه فهيو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ﴾ وثقل الموازين وخفتها تفيدنا: قيما لها عند الله

اعتبار وقيها ليس لها عنده اعتبار وهذا ما يلقيه التعبير بجملته ، وهذا والله أعلم ما يريده الله بكلماته فالدخول في جدل عقلي ولفظي حول هذه التعبيرات هو جفاء للحس القرآني وعبث ينشئه الفراغ من الإهتمام الحقيقي بالقرآن والإسلام ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ في اعتبار الله وتقويمه ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ ويدعها مجملة بلا تفصيل توقع في الحس ظلال الرضى وهو أروح النعيم ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ في اعتبار الله وتقويمه .

الكلام على هذا من وجوه:

١ ـ الوجه الأول قوله ولا ندخل في طبيعة الوزن وحقيقة الميزان إن كان قصده القول في ذلك بلا علم فصحيح وإن كان قصده البحث فيه بعلم فليس بصحيح وقد أجمعت الأمة على الأخذ بظاهر الأدلة الواردة في الميزان وأنه ميزان حقيقة وأن له كفتين ولسانا وأنه يثقل ويخف وأن بعض الأعمال يجعل في كفة وبعضها يجعل في الكفة الأخرى وأن بعض الناس لا يزن جناح بعوضة وبعضهم مع دقته أثقل في الميزان من أحد، وهذه أحاديث صحيحة مشهورة في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها ولا ينكر ذلك إلا أهل البدع كالمعتزلة وأشباههم.

٢ ـ الوجه الثاني قوله تقرير الحقيقة من أن الحساب يومئذ بالحق وأنه لا يظلم أحد مثقال ذرة إلخ لا يكفي وهذا قول أهل البدع قال القرطبي قال ابن فورك:وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناءاً منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها انتهى. ومن المتكلمين من يقول أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها

يوم القيامة وهذا ليس بصحيح عندنا والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب التي فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف وقد ورد في الخبر الصحيح ما يحقق ذلك.

٣ ـ الوجه الثالث قوله فالدخول في جدل عقلي ولفظي حول هذه التعبيرات جفاء للحس القرآن ليس على إطلاقه إن كان الكلام في ذلك بالرأي فصحيح وإن كان بما ورد في السنة وأقوال السلف فليس جفاء للقرآن بل عملاً به كما قال تعالى﴿**وما أتاكم الرسول فخذوه**﴾وقد ورد عنه ﷺ في صفةالميزان أحاديث منها حديق عبدالله ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنه آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله الحديث رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد والطبراني.

وغيره من الأحاديث الكثيرة قال شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد في المسائل في باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب إن الميزان له كفتان والله أعلم .

الموضع الثالث والأربعون

قال في الجزء الثالث على قوله تعالى : ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ . ص ١٢٦٧ والطريق إلى الله لايمكن أن يكون حساً فالله سبحانه جلّ عن التحيز .

قلت هذا قول المعطلة وأهل البدع وقد تقدم بسطه في التنبيه على قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ والله أعلم .

الموضع الرابع والأربعون

قال في الجزء الثالث ص ١٢٦٨ على قوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ .

وهنا فقطنعرف أنّ له زوجاً من جنسه لا ندري كيف جاءت فالنص الذي معنا وأمثاله في القرآن الكريم لا تتحدث عن هذا الغيب بشيء وكل الروايات التي جاءت عن خلقها من ضلعه مشوبة بالإسرائيليات لا نملك أن تعتمد عليها والذي يمكن الجزم به هو فحسب أن الله خلق له زوجاً من جنسه فصارا زوجين اثنتين والسنة التي نعلمها عن كل خلق الله هي الزوجية ومن كل شيء خلقنا زوجين فهي سنة جارية وهي قاعدة في كل خلق الله أصيلة وإذا سرنا مع هذه السنة فإن لنا أن نرجح أن خلق حواء لم يمكث طويلاً بعد خلق آدم وأنه تم على نفس الطريقة التي تم بها خلق آدم .

أقول قوله وكل الروايات التي جاءت عن خلقها من ضلعه مشوبة بالإسرائيليات لا نملك أن نعتمد عليها كلام مردود فقد ثبت في الصحيحين ما يدل عليه قال البخاري باب خلق آدم وذريته وساق في الباب أحاديث منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن اعوج شيء في الضلع أعلاه الحديث.

قوله وإنه تم على نفس الطريقة التي تم بها خلق آدم باطل

يرده قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون والحديث الوارد في محاجة موسى لآدم قال له موسى خلقك الله بيده ونحوه من الأحاديث الدالة على اختصاص خلق آدم بذلك دون غيره وكذلك الحديث الذي تقدم أن المرأة خلقت من ضلع وقد ذكر العلماء أن خلق الإنسان على أربعة أقسام الأول من غير ذكر ولا أنثى وهو آدم الثاني من ذكر بلا أنثى مثل حواء الثالث من أنثى بلا ذكر وهو عيسى بن مريم الرابع من ذكر وأنثى وهم بقية الخلق والله أعلم.

الموضع الخامس والأربعون

قال في الجزء الثالث على قوله ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ص ١٢٧٠ قال اهبطوا إلى هـذه الأرض أين هي الجنة . قلت تقـدم الكلام ، على هذه الجنة في أية سورة البقـرة وهي قولـه ﴿ وقلنا يـآدم اسكنت أنت وزوجك الجنة ﴾. ولله الحمد والمنه .

الموضع السادس والأربعون

قال في الجزء الثالث ص ١٢٧٨ على قوله تعالى ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوأتكم وريشاً** ﴾ الآية .

قال وكذلك يقول أنزلنا أي شرعنا لكم في التنزيل .

قلت قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٢ : ٢٥٥ ، قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الأقوال ضعيفة إلى أن قال تعالى ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكناً** ﴾ الآية فامتن سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الأنعام في اللباس والأثاث وهذا والله أعلم معنى إنزاله فإنه ينزله من ظهور الأنعام وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب فهي لدفع الحر والبرد وأعظم مما يصنع من القطن والكتنان . أهـ .

قلت فما ذكره خلاف ما ذكره أهل التفسير وخلاف ما قرره شيخ الإسلام والله أعلم .

الموضع السابع والأربعون

قال عند قوله ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ الآية الأعراف .

﴿ إن ربكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ الآية « يونس » .

قال والاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة باللغة التي يفهمها البشر ويتمثلون بها المعاني على طريقة القرآن في التصوير كما فصلنا هذا في فصل التخييل الحسي والتجسيم من كتاب التصوير الفني في القرآن.

وثم هنا ليست للتراخي الزماني إنما هي للبعد المعنوي فالزمان في هذا المقام لا ظل له وليست هناك حالة ولا هيئة لم تكن لله سبحانه ثم كانت فهو سبحانه منزه عن الحدوث وما يتعلق به من الزمان والمكان لذلك نجزم بأن ثم هنا للبعد المعنوي ونحن آمنون من أننا لم نتجاوز المنطقة المأمونة التي يحق فيها للعقل البشري أن يحكم ويجزم لأننا نستند إلى قاعدة كلية في تنزيه الله سبحانه عن تعاقب الهيئات والحالات وعن مقتضيات الزمان والمكان.

قوله تعالى ﴿ الله الذي رفع السمٰوات بغير عمدٍ ترونها ثم استوى على العرش ﴾ الآية (الرعد) .

ثم استوى على العرش فإن كان علو فهذا أعلى وإن كانت عظمة فهذا أعظم وهو الاستعلاء المطلق يرسمه في صورة على طريقة القرآن في تقريب الأمور المطلقة لمدارك البشر المحدودة وهي لمسة أخرى هائلة من لمسات الريشة المعجزة لمسة في العلو المطلق إلى جانب اللمسة الأولى في العلو المنظور تتجاوران وتتسقان في السياق ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (طه) .

والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والإرادة، فأمر الناس إذن إليه وما على الرسول إلاّ التذكرة لمن يخشى ومع الهيمنة والاستعلاء الملك والإحاطة.

﴿ الذي خلق السموٰات والأرض وما بينها في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل خبيراً ﴾ (الفرقان) .

أمام الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسيطرة ولفظ ثم لا يدل على الترتيب الزمني إنما يدل على بعد الرتبة رتبة الاستواء والاستعلاء. . . .

﴿ الله الذي خلق السموٰات والأرض وما بنيها في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ الآية «السجدة» .

الاستواء على العرش رمز لاستعلائه على الخلق كله أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه ولا بد من الوقوف عند لفظه وليس كذلك الاستواء فظاهر أنه كناية عن الاستعلاء ولفظ ثم لا يمكن قطعاً أن يكون للترتيب الزمني لأن الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال ولا يكون في حال أو وضع سبحانه ثم يكون في حال أو وضع قال إنما هو الترتيب المعنوي فالاستعلاء درجة فوق الخلق يعبر عنها هذا

التعبير وفي ظلال الاستعلاء المطلق يلمس قلوبهم بالحقيقة التي تمسهم. وقوله تعالى﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾الآية الحديد. وكذلك العرش فنحن نؤمن به كما ذكره ولا نعلم حقيقته أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق استناداً إلى ما نعلمه من القرآن عن يقين من أن الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ثم تتبعها حالة استواء والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولاندرك كيفيته لايفسر قوله تعالى «ثم استوى» والأولى أن نقول إنه كناية عن الهيمنة كما ذكرنا والتأويل هنا لا يخرج على المنهج الذي أشرنا إليه آنفاً لأنه لا ينبع من مقررات وتصورات من عند أنفسنا.

أقول هذا قول الجهمية الضلال المعطلين وهو مخالف للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة فإن الجهمية لم يصرحوا برد ألفاظ القرآن ولكن خالفوا السلف في المعنى المراد وقولهم إنه استولى لا يعرف في المسلمين إلاّ عن الجهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم. ويقال أيضاً قوله الاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة الثابتة الراسخة باللغة التي يفهمها البشر كلام باطل من وجوه تبلغ الأربعين منها أن هذا لايعرف في لغة العرب قال ابن الأعرابي وقد سئل عن ذلك فقال لاتعرف العرب ذلك وهو من أكابر أئمة اللغة ومنها أن تفسيره بالسيطرة يبطل تخصيص العرش بكونه استوى عليه فإنه مسيطر على جميع خلقه ومنها أن هذا تفسير بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع ولا قاله إمام من أئمة المسلمين والقول على الله بغير علم من أعظم الذنوب.

وقوله وثم هنا ليست للتراخي الزماني إنما هي للبعد المعنوي

باطل بل هي للترتيب المعنوي وهو أن الاستواء تأخر إلى ما بعد خلق السماوات والأرض ولو كـان بمعنى الاستيلاء والسيـطرة لكان العـرش قبل خلق السموات والأرض خـارجاً عن سيـطرة الله وقهره وهـذا لا يقوله مسلم وقوله وليست لله سبحانه هناك حالـة ولا هيئة لم تكن لله سبحانه ثم كانت، أقول هذا تعطيل لصفة الاستـواء التي وصف الله بها نفسه، ولا نعطل صفة الله لأجل شناعة هذا القائل وتسميته ذلك حالة وهيئة، قال الإمام أحمد لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شنـاعة المشنعين وقوله فهو سبحانه منزه عن الحدوث، يقـال له وصف الله بمـا وصف به نفسه من استوائه عـلى عرشـه وغيره لا محذور فيه، ولا يلزم منه وصفه بالحدوث المنـزه عنه لأنـه سبحانـه لا يقاس بخلقه، والذي ينزه عنه هو كونه من جنس شيء من المخلوقات وقوله لأننا نستند إلى قاعدة كلية في تنزيـه الله سبحانـه عن تعاقب الهيئـات والحالات وعن مقتضيات الزمان والمكان فيقال له هذا نوع تجهم قـال شيخ الإسـلام رحمـه الله تعالى لـما ذكر حـديث عمران بن حصـين «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء» فزاد بعض الملاحدة وهو الآن عـلى ما كان عليه قصـد بها المتكلمـة المتجهمة ففي الصفـات التي وصـف بها نفسه من استوائـه على العـرش والنزول وغـير ذلك. فقـالوا كـان في الأزل ليس مستوياً على العرش وهو الآن على ما كان عليه فلا يكـون عـلى العرش لـما يقتضي ذلك من التحول والتغير اهـ. مجمـوع الفتاوى ٢ : ٢٧٣ .

وقوله ثم استوى على العرش إن كان علوا فهذا أعلى جوابه أن يقال هذا كلام شاك متحير لا يعرف قول أهل السنـة من أهل البـدع والذي يجب عليه أن يجـزم ويؤمن بأنـه العلو على العـرش حقيقة كـما

قال أهل السنة استوى علا وارتفع.

قوله إن كان عظمة فهذا أعظم وهو الاستعلاء الخ كلامه، أقول هذا تأويل أهل البدع الذين لا يجعلون الاستواء حقيقة في العلو وإنما هو مجاز عن شيء آخر.

وكذلك ما ذكره على آية طه والفرقان السجدة والحديد في الكلام على الاستواء كله تأويل باطل مخالف لقول أهل السنة والجماعة ،وقد بسط العلماء الرد على من نفى الاستواء أو أوّله بالاستيلاء وألفوا في ذلك مؤلفات وأبطله العلامة ابن القيم ورده بأكثر من أربعين وجهاً راجع مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة واجتماع الجيوش الإسلامية ومجموعة التوحيد ص ٥٩ وص ٦٠والدرر السنية ج ٣: ص ٣٣٦.

وقد تقدم الكلام على شيء من هذا في الكلام على آية البقرة ثم استوى إلى السماء فراجعه والله أعلم.

الموضع الثامن والأربعون

قال في الجزء الثالث ص ١٢٩٦ ، ﴿**إن ربكم الله تعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام**﴾ كيف خلق السموات والأرض الخ . فأما الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض . إنها قد تكون ست مراحل وقد تكون ستة أيام من أيام الله .

الكلام على هذا من وجهين .

الوجه الأول قوله كيف السموات والأرض يقال له قد بسط جوابه في الموضع الثالث من سورة البقرة .

الوجه الثاني وأما الأيام الستة الخ جوابه قد ذكر في الموضع الثاني والعشرين بعد المائة سورة فصلت والله اعلم .

الموضع التاسع والأربعون

قال في الجزء الثالث من ١٣١٧ ﴿ على قوله وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله إلى قوله فأوفوا الكيل والميزان ﴾ .

قال وندرك من هذا النهي أن قوم شعيب كانوا قوماً مشركين لا يعبدون الله وحده إنما يشركون معه عباده في سلطانه وأنهم ما كانوا يرجعون في معاملاتهم إلى شرع الله العادل إنما كانوا يتخذون لأنفسهم من عند أنفسهم قواعد للتعامل ولعل شركهم إنما كان في هذه الخصلة. أقول شركهم هو عبادتهم مع الله غيره كما قال تعالى عنهم أنهم قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الآية والله اعلم.

الموضع الخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٣٥٨ على قوله تعالى﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾ قال فأما كيف وقعت هذه الآيات فليس لنا وراء النص القرآني شيء ولم نجد في الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله ﷺ عنها شيئاً ونحن على طريقتنا في هذه الظلال نقف عند حدود النص القرآني في مثل هذه المواضع لا سبيل لنا إلى شيء منها إلّا من طريق الكتاب أو السنة الصحيحة وذلك تحرزاً من الإسرائيليات والأقوال والروايات التي لا أصل لها،والتي تسربت مع الأسف إلى التفاسير القديمة كلها حتى ما ينجو منها تفسير واحد من هذه التفاسير وحتى إن تفسير الإمام ابن جرير الطبري على نفاسة قيمته وتفسير ابن كثير.

أقول ذكر ابن جريرو ابن كثير للإسرائيليات لا محذور فيه إلا خالف الشرع فيرد لمخالفته الشرع لا لكونه مأخوذاً عن أهل الكتاب وقد أذن رسول الله ﷺ في التحديث عنهم فعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ وسلم حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج رواه البخاري قال ابن كثير ولهذا كان عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك، زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للإستشهاد لا للاعتضاد

فإنها على ثلاثة أقسام أحدها، علمنا صحته فيما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح والثاني ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وهكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٣ : ٣٦٦، ٣٦٧ والله أعلم.

الموضع الحادي والخمسون

قال في الجزء الثالث على قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً ﴾ سورة الأعراف .

قال فكيف كان هـذا التجلي نحن لا نملك أن نصفـه ولا نملك أن نـدركه ولا نملـك أن نستشرفـه إلا بتلك اللطيفة التي تصلنـا بالله حين تشف أوراحنا وتصفوا وتتجه بكلتيها إلى مصدرها فأمـا الألفاظ المجردة فلا تملك أن تنقل شيئاً لـذلك لا نحـاول بالالفـاظ أن نصور هذا التجلي ونحن أميل إلى اطراح كل الروايات التي وردت في تفسيره وليس منها رواية عن المعصـوم ﷺ والقرآن الكـريم لم يقل من ذلـك شيئاً .

أقـول قولـه ولا نملك أن ندركه وأن نستشرفه إلاّ بتلك اللطيفـة التي تصلنـا بـالله حـين تشف ارواحنـا وتصفـوا وتتجـه بكلتيهـا إلى مصدرها إلـخ بكلام بـاطل فـإن إدراك تجلي الذات لا يقـع في هذه الحياة وإنما يحصل استيلاء المعرفة على القلب فلا يشهد سوى معروفه ويحصل له نور تجلي معاني الأسماء الحسنىٰ على القلب فتضيء به ظلمة القلب وقد ورد في الحديث الصحيح «واعلموا أن أحـد منكم لن يرى ربـه حتى يموت» رواه مسلم ١٨ : ٥٦ بشرح النـووي انـظر مدارج السالكين جـ٣/١١٠ .

وأما قوله فأمام الألفاظ المجـردة فلا تملك أن تنقـل شيئاً ونحن

أميل إلى اطراح كل الروايات في تفسيره وليس منها رواية عن المعصوم ﷺ إلخ فليس كما قال فقد ورد في الحديث ما يشير إلى شيء من ذلك وهو ما رواه الإمام أحمد وابن جرير والترمذي والحاكم وغيرهم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ عليه وسلم في قوله فلما تجلى ربه للجبل قال قال هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال من أنت يا حميد وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم والله أعلم

الموضع الثاني والخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٣٨٥ على قوله تعالى ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ قال أما كيف صاروا قردة وكيف حدث لهم بعد أن صاروا قردة هل انقرضوا كما ينقرض كل ممسوخ يخرج عن جنسه أم تناسلوا وهم قردة إلى آخر هذه المسائل التي تتعدد فيها روايات التفسير فهذا كله مسكوت عنه في القرآن الكريم وليس وراءه عن رسول الله ﷺ شيء.

أقول قوله هل انقرضوا أم تناسلوا ليس كما قال فقد صح عن رسول الله ﷺ ذكر ذلك فعن أبي سعيد الخوري رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي لله فقال إني في غائطٍ مَضَبَّةٍ وإنه عامة طعام أهلي قال فلم يجبه، فقلنا عاوِدْه فعاوده فلم يجبه ثلاثاً، ثم ناداه رسول الله ﷺ في الثالثة فقال: يا أعرابي إن الله لعن أو غضب على سبط من بني إسرائيل فمسخهم دواب يَدِبُّون في الأرض ولا أدري لعل هذا منها فلم آكلها ولا أنهىٰ عنها رواه أحمد ومسلم، قال المجد في المنتقى وقد صح عنه ﷺ أن الممسوخ لا نسل له والظاهر أنه لم يعلم ذلك إلاّ بوحي وأن تردده في الضب كان قبل الوحي بذاك والحديث يرويه ابن مسعود أن النبي ﷺ ذكرت عنده القردة ، قال مِسْعَرٌ : وأراه قال والخنازير مما مسخ ، فقال : إنّ الله لم يجعل لمسخٍ نسلاً ولا عَقباً وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك ، وفي رواية أن رجلاً قال يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ الله فقال النبي ﷺ إن الله لم يهلك أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً . روى ذلك أحمد ومسلم . والله أعلم .

الموضع الثالث والخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٤١٦ على قوله تعالى : ﴿ **قال ادعو شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون** ﴾ .

قال ولقد كان عبدالله بن مظعون رضي الله عنه يقول وقد خرج من جوار عتبة بن ربيعة المشرك لأنه لم يتسع لنفسه أن يحتمي بجوار مشرك فيكفّ عنه الأذى إلخ قلت هذا وهم وإنما هو أخوه عثمان بن مظعون والذي أجاره الوليد بن المغيرة لاعتبة بن ربيعة كما ذكره ابن هشام في السيرة ١ : ٣٨٦ وابن حجر في الإصابة ٢ : ٤٦٤ والله أعلم .

سورة الأنفال

الموضع الرابع والخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٤٧٤ على قوله تعالى : ﴿ واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

فلا بد للإيمان من صورة عملية واقعية يتجلى فيها ليثبت وجوده ويترجم عن حقيقته وكما قال رسول الله ﷺ ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

أقول جزمه بأن رسول الله ﷺ قال ذلك فيه نظر وإنما يروى هذا الكلام عن الحسن البصري كما رواه ابن أبي شيبة في الإيمان وغيره. والله أعلم.

الموضع الخامس والخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٥٣٠ على قوله تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ الآية . قال ولقد وردت في هذه الآية والحادث الذي تشير إليه عدة آثار ليس من بينها حديث عن رسول الله ﷺ إلا ما رواه مالك في الموطأ حدثنا أحمد بن الفرج قال حدثنا عبدالملك بن عبدالعزيز ابن الماجشون قال حدثنا مالك عن إبراهيم ابن أبي عَبْلَة عن طلحة بن عبدالله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال ما رؤي إبليس يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأي يوم بدر قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما إنه رأى جبريل يَزَعُ الملائكة » . وفي هذا الأثر عبدالملك بن عبدالعزيز بن الماجشون وهو ضعيف الحديث والأثر مرسل .

قلت لم ينفرد به عبد الملك وقد رواه يحي بن يحي عن مالك كما هو مذكور في الموطأ الموجود بين الناس مع شرحه تنوير الحوالك وقال ابن عبدالبر في التمهيد هذا الحديث في الموطأ عند جماعة الرواة له عن مالك ثم قال هذا حديث حسن في فضل شهود ذلك الموقف ١ : ١١٥ ، ١١٦ والله أعلم.

الموضع السادس والخمسون

قال في الجزء الثالث ص١٥٥٠ على قوله تعالى﴿**الآن خفف الله عنكم**﴾ الآية قال وقد فهم بعض المفسرين والفقهاء أن هذه الآيات تتضمن أمراً للذين آمنوا ألا يفر الواحد منهم من عشرة في حالة القوة وألا يفر الواحد من اثنين في حالة الضعف وهناك خلافات فرعية كثيرة لا ندخل فيها فالراجح عندنا أن الآيات إنما تتضمن حقيقة في تقدير قوة المؤمنين في مواجهة عدوهم في ميزان الله وهو الحق وأنها تعريف للمؤمنين بهذه الحقيقة لتطمئن قلوبهم وتثبت اقدامهم وليست أحكاماً تشريعية فيما نرجح والله أعلم بما يريد.

أقول قوله وليست أحكاماً تشريعية ليس كما قال بل قد استنبط منه ابن عباس ترجمان القرآن الذي دعا له رسول الله ﷺ كما رواه البخاري في صحيح ٣١٢:٨ فتح الباري عنه قال لما نزلت﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قال فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم والله أعلم.

سورة براءة

الموضع السابع والخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٦٦٨ على قوله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾ الآية .

قال فالزكاة ضريبة تكافل اجتماعي ، قلت قد تقدم الكلام على تسميته الزكاة ضريبة عند قوله تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم** ﴾ ، الآية والله أعلم .

الموضع الثامن والخمسون

قال في الجزء الثالث ص١٦٦٩ على قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾الآية وفي الرقاب ذلك حين كان الرق نظاماً عالمياً تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الإسترقاق.

أقول قوله حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الإسترقاق كلام مردود لأنه ليس لأحد أن يشرع للناس نظاماً يخالف ما جاء في الشرع وقد دل الشرع على أن المسلمين إذا دعوا الكفار إلى الإسلام فامتنعوا من الإسلام وبذل الجزية إن كانوا ممن تؤخذ منهم فقوتلوا واستولى عليهم جاز استرقاقهم كما هو معلوم من سيرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذٍ جويرية ابنة الحارث متفق عليه قال المجد في المنتقى وهو دليل على استرقاق العرب، والأحاديث في ذلك كثيرة وإذا مضى عصر النبي ﷺ وأصحابه والقرون المفضلة ومن بعدهم فكيف يحدث بعدهم نظام غير ما فعلوه وقرروه وهل هذا إلا كما قال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ وقد تقدم الكلام على شيء من هذا عند قوله وضع الرق نهاية في الجزء الأول والله أعلم.

سورة يونس

الموضع التاسع والخمسون

قال في الجزء الثالث ص ١٧٦٢ على قوله تعالى﴿ثم استوى على العرش﴾ والاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة أقول هذا باطل وقد تقدم الكلام عليه في الموضع السابع والأربعين والله أعلم .

الموضع الستون

قال في الجزء الثالث ص١٧٧٣ على قوله تعالى ﴿ إن رسلنا يكتبون ما تمكرون ﴾ .

قال أما من هم هؤلاء الرسل فذلك غيب إلخ .

أقول قد دل القرآن على أنهم الملائكة كما قال تعالى : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾ وقال تعالى : ﴿ بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ وغيرها من الآيات والله أعلم .

الموضع الحادي والستون

قال في الجزء الثالث ص ١٧٨٦ بعد ما ذكر قصة هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه بهذه اللغة الموسيقية إلخ.

أقول إطلاقه اللغة الموسيقية على القرآن باطل وسيأتي في الكلام على سورة النجم بسط الرد عليه وقد كرر هذه اللفظة في عدة مواضع فلينتبه له والله أعلم.

سورة هود

الموضع الثاني والستون

قال في الجزء الرابع ص ١٨٤٦ أول سورة هود : إنما تستهدف تقرير ربوبية الله وحده في حياة البشر كما أنها مقررة في نظام الكون فقضية الإلهية لم تكن محل خلاف إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات وهي التي كانت تواجهها الرسالة الأخيرة إنها قضية الدينونة لله وحده بلا شريك والخضوع لله وحده بلا منازع.

أقول لا يخفي ما فيه من الخطأ والتناقض أما الخطأ فهو قوله قضية الإلهية لم تكن محل خلاف كيف لم تكن محل خلاف وكل رسول من نوح إلى محمد عليهم السلام يقول لقومه : ﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ فيردون عليه بقولهم ﴿ **أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا** ﴾ .

وكذلك قوله إنما قضية الربوبية إلخ كيف تواجه قضية الربوبية مع أنهم إذا سئلوا من خلقهم وخلق السموات والأرض يقولون الله وظاهر كلامه أنه لم يعرف الفرق بين الربوبية والألوهية وأما تناقضه فهو أنه قال قضية الألوهية لم تكن محل خلاف ثم جعل قضية ماتواجهه الرسالة الدينونة لله وحده والخضوع وهذا هو توحيد الألوهية. وقد ذكر مثل هذا الكلام في غير ما موضع من تفسيره فليتنبه له وقد بسط بأتم من هذا في الكلام على قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ **ربنا اغفر لي ولوالدي** ﴾ والله أعلم.

الموضع الثالث والستون

قال في الجزء الرابع ص ١٩٩١ على قوله تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ﴾ الآية .

قال وعلى عادة البدو في إكـرام الضيف راح إبراهيم إلـخ أقول لقد أخطأ وأسـاء الآدب من ثلاثة أوجه الوجه ، الأول جعله هـذا عادة البدو ويوهم أن هـذا لم يكن عادة لإبـراهيم ولا من خلقه وإنمـا فعـل فعلهم . وهذا باطل فإن إبراهيم هو أول من اضاف الضيف كما رواه الطبراني في الأوائل وابن أبي عاصم في الأوائل أيضـاً قال قـال رسول الله ﷺ أول من ضـاف الضيف إبراهيم وإسنـاده لا بأس بـه وروى مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب بإسناد صحيح قال كان إبراهيم أول الناس ضيف الضيف .

الوجه الثـاني أن إكرام الضيف من أخـلاق النبيين والصـالحين ومن مكارم الإخلاق ومن آداب الإسلام كما قاله القـرطبي في تفسيره وغيره .

الوجه الثالث أن العلماء أخذوا آداب الضيافة من فعل إبراهيم عليه السلام كما بسطه العـلامة ابن القيم في التبـوكية وجـلاء الأفهام والقرطبي في تفسيره وغيرهما فكيف يجعـل هذا الخلق العـظيم النبوي كفعل أهل البادية ، ويشبه به ولو أنه عكس الأمـر وجعل عـادة البدو مما اتبعوا فيه إبراهيم لكان أولى فيكون إبراهيم هو الأصل وغيره هـو الفرع .

الموضع الرابع والستون

قال في الجزء الرابع ص ١٩١٤ على قوله تعالى : ﴿ ولا تخزون في ضيفي ﴾ .

قال قالها كذلك يلمس نخوتهم وتقاليد البدو في إكرام الضيف إطلاقاً.

أقول هذا خطأ وإساءة أدب في حق هذا النبي ﷺ وقد تقدم الرد عليه فيما تقدم والله أعلم.

الموضع الخامس والستون

قال في الجزء الرابع ، ص ١٩١٥ على قولـه تعالى: ﴿**وأمـطرنا عليها حجارة من سجيل منضود**﴾وقوام القول في هذه القضيةوأمثـالها أنه جائز أن يكون فـي تقدير الله وقوع انفجار بـركاني في مـوعده في هذا الموعد ليحـقق قدر الله في قوم لوط ويقال إن بحيرة لوط الحـالية وجدت بعد هذا الحادث بعد انقلاب عمورة وسدوم في باطن الأرض وهبـوط مكانها وامتـلائه بـالماء ولكننـا لا نعلل ما وقـع لهم بأنـه كان زلزالاً أو بركاناً عابراً ما يقع في كل حين.

أقول ما ذكره المفسرون يبطل هذا الإحتمال وقد ذكر التنبيه على هذا عند الكلام على قوله تعالى : ﴿ **إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء** ﴾ . من سورة العنكبوت والله أعلم .

سورة يوسف

الموضع السادس والستون

قال في الجزء الرابع ص ٢٠١٨ ، على قوله تعالى ﴿ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ .

قال ثم ليكن هذا الشيء الذي كان يخشاه هو العين الحاسده أو هي غيرة الملك من كثرتهم وفتوتهم أو هو تتبع قطاع الطريق لهم أو كائناً ما كان فهو لا يزيد شيئا في الموضوع سوى أن يجد الرواة والمفسرون باباً للخروج عن الجو القرآني المؤثر إلى قال وقيل.

أقول المفسرون نقلوا هذا عن ابن عباس وغيره قال في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله **﴿وقال يابني لاتدخلوا من باب واحد﴾** قال رهب يعقوب عليهم العين. وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب رضي الله عنه في قوله لا تدخلوا من باب واحد قال خشي عليهم العين. وأخرج ابن جرير عن الضحاك نحوه وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد نحوه وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة معناه، فهذا قول من دعا له الرسول ﷺ وغيره من أجلاء التابعين ونقله عنهم المفسرون فكيف يقابله بهذه المقابلة الموهنة له مع أنه يستحسن شيئاً من نظريات هذا الزمان التي ما أنزل الله بها من سلطان والله أعلم.

سورة الرعد

الموضع السابق والستون

قال في الجزء الرابـع ص ٢٠٣٩ أول سورة الـرعد. إنها ليست ألفاظاً وعبارات إنما هي مطارق وإيقاعات صورهـا ظلالهـا مشاهـدها موسيقاها لمساتها الوجدانية .

أقول هذا الإطلاق مردود وقـد بسط رده في الكلام عـلى سورة النجم والله أعلم .

الموضع الثامن والستون

قال في الجزء الرابع ص ٢٠٤٥ على قوله تعالى﴿ثم أستوى على العرش﴾فإن كان علواً فهذا أعلى وإن كانت عظمة فهـذا أعظم وهـو الإستعـلاء المطلق يـرسمه في صـورة على طـريقة القـرآن في تقـريب الأمور المطلقة لمدارك البشر المحدودة.

أقول تقدم التنبيه على هذه الآية في الموضع السـابع والاربعـين والله أعلم.

سورة ابراهيم

الموضع التاسع والستون

قال في الجزء الرابع على قوله تعالى ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ .

ولا يفوتنا أن نلمح تكرار إبراهيم عليه السلام في كل فقرة من فقرات دعائه الخاشع المنيب لكلمة ربنا أو رب فإن لهجات لسانه بذكر ربوبية الله له ولبنيه من بعده ذات مغزى إنه لا يذكر الله سبحانه بصفة الألوهية إنما يذكره بصفة الربوبية فالألوهية قلما كانت مواضع جدال في معظم الجاهليات وبخاصة في الجاهلية العربية إنما الذي كان دائماً موضع جدل هو قضية الربوبية قضية الدينونة في واقع الحياة الأرضية وهي القضية العملية الواقعية المؤثرة في حياة الإنسان والتي هي مفرق الطريق بين الإسلام والجاهلية وبين التوحيد والشرك في عالم الواقع فإما أن يدين الناس لله فيكون ربهم وإما أن يدينوا لغير الله فيكون غيره ربهم وهذا هو مفرق الطريق بين التوحيد والشرك وبين الإسلام والجاهلية في واقع الحياة والقرآن وهو يعرض على مشركي العرب دعاء أبيهم إبراهيم والتركيز فيه على قضية الربوبية كان يلفتهم إلى ما هم فيه من مخالفة واضحة لمدلول هذا الدعاء .

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله فالألوهية قلما كانت مواضع جدال في معظم الجاهليات وبخاصة في الجاهلية العربية، كلام باطل من وجوه، الأول أن القرآن دل على مجادلة الكفار للرسل في ذلك قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين** ﴾ وكذلك أخبر الله عن صالح وإبراهيم وشعيب وجميع المرسلين أنهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره فعارضهم قومهم .

الوجه الثاني قوله وبخاصة في الجاهلية العربية هذا ليس بشيء ألم يسمع قوله تعالى : ﴿ **وجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، قل إنما يوحىٰ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون** ﴾ .

الوجه الثالث قوله إنما الذي كان دائماً موضع جدل هو قضية الربوبية كلام باطل وغالب الكفار كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما قال تعالى : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم**

سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾وقال تعالى﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾وقال تعالى﴿ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ الوجه الرابع قوله والتي هي مفرق الطريق بين التوحيد والشرك إلخ أقول هذا الكلام دليل على جهله وعدم معرفته بالفرق بين توحيد الربوبية والألوهية لأن هذا هو توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية فإن المشركين كانوا مقربين به ولم يقع بينهم وبين الرسل فيه نزاع وإنما النزاع والخصومة في توحيد الألوهية كما تقدم قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد إلى أن قال فإن مشركي العرب كانوا مقربين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين اهـ.

الوجه الخامس قوله فإما إن يدين الناس لله فيكون ربهم وإما إن يدينوا لغير الله فيكون غيره ربهم أقول إن كان مراده أنهم يخلصون له العبادة فهذا هو توحيد الألوهية لا توحيد الربوبية وهذا قد أنكره المشركون وجحدوه قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد الثانية أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه . قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن المعروف بأبي بطين أما العبادة في اللغة فهي من الذل يقال بعير معبد أي مذلل وطريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام وكذلك الدين أيضاً من الذل يقال

دنتـه فدان أي أذللتـه فذل انتهى من مجمـوعة التـوحيد ١٧٩، ١٨٠ .
وإن كان قصده أنهم يقرون بأنه الخالق الـرازق المدبـر لكل مـا سواه وأن الخلق تحت تصرفه وأنه النافع الضار فهذا لا يكفي ولا يدخل في الإسلام كما تقدم،الوجه السادس قوله والتركيز فيه على قضية الربوبية كـان يلفتهم إلى ما هم فيـه من مخالفـة واضحة لمـدلول هـذا الدعـاء جوابه أن يقال إنهم لم يخالفوا في الربوبية ولا عارضوا قضيـة الربـوبية كما قال تعالى ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون** ﴾ الآيات وإنما خالفوا قضية الألوهية كما قـال تعالى ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ وقال ﷺ لعمه أبي طالب قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبدالمطلب فأعاد عليه النبي ﷺ فأعـادا الحديث متفق عليـه والله أعلم .

الموضع السبعون

قال في الجزء الرابع في سورة ابراهيم على قوله تعالى : ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ .

ولا ندري نحن كيف يتم هذا ولا طبيعة الأرض الجديدة وطبيعة السماوات ولا مكانها ولكن النص يلقي ظلال القدرة القادرة التي تبدل الأرض وتبدل السماوات في مقابل ذلك المكر الذي مهما اشتد فهو ضئيل عاجز حسير.

الكلام على هذا من وجوه:

الأول قوله ولا ندري نحن كيف يتم هذا جوابه أن يقال قد تكلم المفسرون على هذه الآية ولم يقل أحد لا ندري وهم أعلم وأروع من أن يتكلموا برأيهم قال العماد ابن كثير يوم تبدل الأرض غير الأرض أي وعده هذا حاصل يوم تبدل الأرض غير الأرض وهي هذه على غير هذه الصفة المألوفة وساق الأحاديث الدالة على ذلك وقال في فتح القدير يوم تبدل الأرض غير الأرض والتبديل قد يكون في الذات،كما في بدلت الدراهم دنانير،وقد يكون في الصفات كما في بدلت الحلقة خاتماً،والآية تحتمل الأمرين وقد قيل المراد تغير صفاتها وبه قال الأكثر وقيل تغير ذاتها ومعنى﴿السماوات﴾أي وتبدل السماوات غير السموات على الإختلاف الذي مر.

وقال البغوي في تفسيره عن ابن مسعود في هذه الآية قال

تبـدل الأرض بأرض كفضـة بيضاء نقيـة لم يسفك فيهـا دم ولم تعمل فيها خطيئة. وقال علي بن أبي طالب تبـدل الأرض من فضة والسماء من ذهب.

وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن تحت قدميه وقيـل معنى التبديـل جعل السمـاوات جنانـاً وجعل الأرض نيراناً وقيل تبـديل الأرض تغيـيرها من هيئـة إلى هيئة وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها وجعلها قاعاً صفصفاً وتبديـل السماوات تغيـيرها عن حـالها بتكـوير شمسهـا وخسوف قمرها وانتشار نجومها وكـونها مرة كـالدهـان ومرة كـالمهل. وقال ابن جرير واختلف في معنى قولـه يوم تبـدل الأرض غير الأرض فـذكر عن ابن مسعـود قال:أرض كـالفضة نقيـة لم يسـل فيهـا دم ولم يعمل فيها خطيئة،يسمعهم الداعي وينفذهم البصر،حفـاة عراة قياماً، أحسب قـال كما خلقـوا حتى يلجمهم العرق قيـاماً وحده، وذكـر عن مجـاهد قال: أرض كأنها الفضـة وقال آخـرون تبدل نـاراً ثم ذكر عن عبدالله قال الأرض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها وذكـر عن علي قال الأرض من فضة والجنة من الذهب وقال آخرون يبدلها خبزة وذكره عن سعيد بـن جبير.

الـوجه الثـاني قولـه ولا ندري طبيعـة الأرض الجديـدة وطبيعة السماوات أقول قد بيت السنة ذلك كما جاء في الصحيحين عن سهـل ابن سعد قال قـال رسول الله صـلى الله عليه وسلم يحشر النـاس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصـة النقي ليس فيها معلم لأحـد وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أنـا أول الناس سـأل رسول الله ﷺ عن هـذه الآية يـوم تبدل الأرض غـير الأرض والسماوات قـالت

قلت أين الناس يومئذ يارسـول الله قال عـلى الصراط ». رواه مسلم وغير ذلك من الأحاديث.

الوجه الثالث: قوله ولا مكانها أقـول الذي يـظهر ممـا تقدم أن مكان الأرض هو مكانها المعروف الآن ولكن تبدل وكذلـك السماوات لا سيما على قول من قال معنى التبديل جعل الأرض نيرانا والسماوات جناناً لأن الأرض السابعة هي المركز الـذي ينتهي إليه مـا يرسـل من أعلى والفردوس أعـلى الجنة وأوسط الجنـة وفوقـه عرش الـرحمن والله أعلم.

سورة الحجر

الموضع الحادي والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢١٣٣ على قوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ .

قال أما السماء وهي رمز للسمو والإرتفاع .

قلت هذاخلاف الظاهرفإن الظاهر من السماء أنها السماء الدنيا كما رجحه ابن كثير في تفسيره وغيره وقد بسط الكلام على هذه الآيات في أضواء البيان جـ٣ : ص ١٢٢ . وقال في أثناء كلامه يؤخذ من هذه الآيات التي ذكرناها أن كل ما يتشوق به أصحاب الأقمار الصناعية من أنهم سيصلون إلى السماء ويبنون على القمر كله كذب وشقشقة لا طائل تحتها ومن اليقين الذي شك فيه أنهم سيقفون عند حدهم ويرجعون خاسئين أذلاء عاجزين فارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير الخ كلامه رحمه الله تعالى والله أعلم .

الموضع الثاني والسبعون

قال في الجزء الرابع على قوله تعالى : ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

وما الشيطان . وكيف يحاول استراق السمع . وأي شيء يسترق وكل هذا غيب من غيب الله . لا سبيل لنا إليه إلا من خلال النصوص . ولا جدوى في الخوض فيه لأنه لا يزيد شيئاً في العقيدة . ولا يثمر إلا انشغال العقل البشري بما ليس من اختصاصه . وبما يعطله عن عمله الحقيقي في هذه الحياة . ثم لا يضيف إليه إدراكاً جديداً لحقيقة جديدة . فلنعلم أن لا سبيل في السماء لشيطان . وأن هذا الجمال الباهر فيها محفوظ . وأن ما ترمز إليه من سمو وعُلوّ مصون لا يناله دنس ولا رجس . ولا يخطر فيه شيطان . وإلا طورد فطرد وحيل بينه وبين ما يريد .

أقول الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله وكيف يحاول استراق السمع يقال له ثبت في صحيح البخاري في تفسير سورة سبأ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع واسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض

الخ . الحديث الوجه الثاني قوله وأي شيء يسترق فيقال له يسترق ما يوحيه الله إلى الملائكة إذا أخبر بعضهم بعضاً بذلك ووصل الخبر إلى السماء الدنيا وفي حديث ابن عباس عند البخاري إن الملائكة تحدث في العنان وهو السحاب .

الوجه الثالث قوله لا سبيل لنا إليه إلا من خلال النصوص يقال له قد دلت النصوص على ذلك كما تقدّم .

الوجه الرابع قوله لا جدوى في الخوض فيه كلام باطل كيف يقال هذا والنبي ﷺ قد أخبر به أصحابه والصحابة قد أخبروا به التابعين ونقله العلماء في مصنفاتهم ولكن هذا وأمثاله قصر باعهم عن معرفة النصوص فصاروا يتفوهون بهذه المقالة الخاطئة بينما هم إذا نقلوا كلام أهل الهيئة وبعض الخاصيين أطنبوا في ذلك .

الوجه الخامس قوله ولا يزيد في العقيدة ولا يثمر إلا انشغال العقل البشري إلخ يقال له هذا كلام جاهل بما جاء به الرسول ﷺ وإن لم يكن جاهلا فما قدر الرسول ﷺ حق قدره حيث جعل كلامه لا يثمر إلا انشغال العقل بدون فائدة والله أعلم .

الموضع الثاني والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢١٥٠ على قوله ﴿ **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** ﴾ .

وقد خسف بقرى لوط بظاهره تشبه ظاهرة الزلازل أو البراكين وتصاحبها أحيانا ظاهرة الخسف وتناثر أحجار ملوثة بالطين وهبوط مدن بكاملها تسيح في الأرض.

أقول ما ذكره المفسرون خلاف هذا وقد بسط الكلام على هذا في سورة العنكبوت عند التنبيه على قوله تعالى : ﴿ **إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾ والله أعلم .

سورة الإسراء

الموضع الثالث والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٢١٠ لما تكلم على الإسراء قال على أننا لا نرى محلاً لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً والذي يثور حديثاً حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول ﷺ والمسافة بين الإسراء والمعراج بالروح أو بالجسم وبين أن تكون رؤيا في المنام أو رؤية في اليقظة المسافة بين هذه الحالات كلها ليست بعيدة ولا تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئاً.

الكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول أن الإسراء والمعراج كل منهما بروحه وجسمه كما دل على ذلك الكتاب والسنة وهو قول جمهور الأمة وأن ذلك كان يقظة لا مناماً أما الكتبا فقوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ . فإنها رؤيا عين يقظة لا رؤيا منام كما صح عن ابن عباس وغيره ، وقوله تعالى : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وأما السنة فقوله ﷺ ﴿ **أتيت بالبراق فركبته** ﴾ وهو في الصحيح فركوبه على البراق يدل على أن الإسراء بجسمه لأنش الروح ليس من شأنه الركوب على الدواب كما هو معروف .

الوجه الثاني أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة ولا سبباً لتكذيب قريش لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار ولأن قريشاً لم تكن تنكر المنامات.

الوجه الثالث أن هذا أبلغ في المعجزة لأن مثل هذا لا يستغرب بالنسبة للروح وإنما يستغرب إذا كان بالبدن والروح ولذلك ذكر العلماء هذا من دلائل نبوته ﷺ كما ذكره الحافظ البيهقي وغيره. وقد بسط الكلام على هذا الحافظ ابن كثير في أول تفسير هذه السورة. والله أعلم.

الموضع الرابع والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٢٤٩ على قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الآية .

قال فهذا القرآن ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها إنما هو كسائر ما يبدعه الله، يعجز المخلوقون أن يصنعوه هو كالروح.

أقول تشبيهه القرآن بالروح فيه نظر لأن الروح مخلوقة باتفاق العلماء والقرآن ليس بمخلوق بل هو كلام الله، ومن قال أنه مخلوق فهو كافر، وأيضاً القرآن صفة من صفات الله يضاف إليه إضافة صفة إلى موصوف، وأما الروح فليست من صفات الله وإنما تضاف إليه إضافة خلق، لكونها خلقها وأوجدها إلا أن قصد بتشبيهه بها عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن كما يعجزون عن معرفة الروح فهذا حق والله أعلم.

سورة الكهف

الموضع الخامس والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٢٩٣على قوله تعالى﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾الآية وبعد فمن يأجوج ومأجوج وأين هم الآن وماذا كان من أمرهم وماذا سيكون كل هذه أسئلة تصعب الإجابة عليها على وجه التحقيق فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن وفي بعض الأثر الصحيح والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حكاه من قول ذي القرنين ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴾ وهذا النص لايحدد زماناً ووعد الله بمعنى وعده بدك السد ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار وانساحوا في الأرض ودمروا الممالك تدميراً وفي موضع آخر في سورة الأنبياء ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق ﴾ .

وهذا النص كذلك لا يحدد زماناً معيناً لخروج يأجوج ومأجوج فاقتراب الوعد بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ فجاء في القرآن﴿اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر فقد تمر بين اقتراب الساعة وقوعها ملايين السنين أو القرون يراها البشر طويلة مديدة وهي عن الله ومضة قصيرة .

وإذن فمن الجائر أن يكون السد قد فتح في الفترة ما بين اقتربت الساعة ويومنا هذا وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج وهناك حديث صحيح رواه الإمام أحمد عن سفيان الثوري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها حبيبة عن زينت بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمر الوجه وهو يقول ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا وحلق باصبعيه السبابة والإبهام قلت يا رسول الله أنهلك فينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وقد كانت هذه الرؤيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ونصف وقد وقعت غارات التتار بعدها ودمرت ملك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد هولاكو في خلافة المستعصم آخر ملوك العباسيين وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ ، وعلم ذلك عند الله وكل ما نقوله ترجيح لايقين .

أقول الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول: قوله كل هذا أسئلة يصعب الجواب عليها على وجه التحقيق يقال له من طالع كلام المفسرين وشراح الحديث لم يصعب عليه ذلك وقوله أما من هم،فقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري١٣ : ١٠٦هم من بني آدم ثم بني يافث بن نوح ، وقال أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود رفعه أن ياجوج وماجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً من الذرية ألخ كلام الحافظ ابن حجر وقال ابن كثير٣ : ١٠٣ : وياجوج وماجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت هم في الصحيحين إن الله تعالى يقول يا آدم فيقول

لبيك وسعديك فيقول أبعث بعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال إن فيكم امتين ما كانتا في شيء إلاّ كثرناه ياجوج وماجوج.

الوجه الثاني قوله وأين هم الآن يقال له قال ابن كثير في قوله حتى إذا بلغ بين السدين قال هما جيلان متناوحان بينهما ثغرة يخرج منها ياجوج وماجوج على بلاد الترك الخ كلامه والقرآن يدل على أنهم وراء السد حيث قال تعالى: ﴿ **فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً** ﴾.

الوجه الثالث: قوله وعده يدك السد ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار الخ كلامه كلام باطل وقول على الله بلا علم ترده الأحاديث الصحيحة بل الأحاديث تدل على أنهم لم يخرجوا لأنها صرحت بأن خروجهم بعد خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلى قول هذا القائل بلا علم يكون الدجال قد خرج وعيسى قد نزل أو أن ذلك لا حقيقة له وقد روى مسلم في صحيحه عن النواس ابن سمعان أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فوصفه ثم ذكر خروجه. ثم ذكر نزول عيسى بن مريم وقتله الدجال إلى أن قال فبينما هم كذلك إذا أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم أين قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور فيبعث الله عز وجل ياجوج وماجوج إلى آخر الحديث.

الوجه الرابع قوله والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين جوابه أن

يقال له إن النبي ﷺ خاطبهم بما يعرفون من حسابهم وإلّا كان تركهم في حيرة لأنهم لا معرفة لهم بالحساب الإلهي وأيضاً قوله فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين ينافي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري انظر فتح الباري ١١ : ٣٤٧ وسلم بشرح النووي ١٨ : ٨٨ بعثت أنا والساعة كهاتين فهذا يدل على أن الباقي من الدنيا أقل لما مضى ومعلوم أن ملايين السنين ينافي ذلك.

الوجه الخامس قوله وهناك حديث صحيح رواه أحمد هذا قصور ظاهره أنه لم يخرجه من هو أشهر من أحمد وهو متفق عليه وهذا الحديث لا يدل على خروجهم بل يدل على أنهم لم يتمكنوا من نقب السد ولا نقب شيء منه كما أشار إليه الحافظ بن كثير في تفسير ٣ : ١٠٥ والله أعلم.

سورة مريم

الموضع السادس والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٣١٣ على قوله تعالى﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن**﴾قال ونحن لاندري كيف كان هذا الكلام وكيف أدركه موسى أكان صوتاً تسمعه الأذن أم يتلقاه الكيان الإنساني كله ولا نعلم كيف أعد الله كيان موسى البشري لتلقي كلام الله الأزلي إنما نؤمن أنه كان وهو على الله هين أن يصل مخلوقه به بطريقة من الطرق وهو بشر على بشريته وكلام الله علوي على علويته ومن قبل كان الإنسان إنساناً بنفخة من روح الله .

أقول أما قوله ونحن لا ندري كيف هذا الكلام إن كان قصده كنه ذلك فهذا صحيح وإن كان قصده نفي صفة الكلام ونفي كونه بحرف وصوت فهذا قول أهل البدع كالجهمية والمعتزلة ونحوهم وأما أهل السنة فيقولون إن الله يتكلم بحرف وصوت، فيصفون الله تعالى بالصوت،قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين رحمه الله تعالى في الدرر السنية ٣ : ٣٠٩ فصل وقد ذكرنا فيما تقدم أن مذهب أهل السنة أن الله يتكلم بحرف وصوت فيصفون الله تعالى بالصوت وهو ما يتأتى سماعه والقرآن والسنة يدلان على أن الله يتكلم بصوت قال الله تعالى﴿**فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن**﴾وذكر آيات ثم قال والنداء لا يكون إلاّ بصوت فدل على أنه كلمه بصوت

وموسى لم يسمع إلّا الحرف والصوت وهـذا مما يعلم بـالاضطرار ثم قال وأما السنة ففي الصحيحين عن أبي سعيـد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قـال يقول الله تعـالى يوم القيـامة يـا آدم فيقول لبيـك وسعديك فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تبعث بعثاً إلى النار ثم نقـل عن عبد الله بن أحمد قـال سألت أبي فقلت إن الجهميـة يزعمـون أن الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا إنما يدورون على التعطيل إلخ كلامه رحمه الله تعالى.

وأما قول هذا المتحير وكيف أدركـه موسى فيقـال له بـل قد دل الكتاب والسنة على أن موسى سمع كلام الله بأذنيه وهـذا قول أهـل السنة والجماعة كما تقدم لأن الصوت هو ما يتـأتى سماعـه بالأذن وأمـا قوله أم يتلقاه الكيان الإنساني كله فهذا باطل وخـلاف لظاهـر الأدلة الـدالـة عـلى أن الله يتكلم بحـرف وصـوت وليس هـو المعنى النفسي الـذي يدرك بـدون أن يسمـع من الله وقـد بسط الكـلام في هـذا في مختصر الصـواعق ٤١٧، ٤١٨ وسـاق الأدلـة من الكتـاب والسنـة والإجماع.

وأما قولـه لتلقي كلام الله الأزلي فهـذا كلام أهـل البدع وأمـا أهـل السنة والجماعة فـأنهم يقولـون يتكلم إذا شاء وقـالوا هـو قديم النوع حادث الآحاد والله أعلم.

سورة طه
الموضع السابع والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٣٢٨ على قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء.

أقول تقدم الكلام مثل هذا، في الموضع السابع والأربعين والله أعلم.

الموضع الثامن والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٣٣١ على قوله تعالى : ﴿ فلما أتاها نودي يا موسى ﴾ فما يمكن تحديد مصدر النداء ولا كيف سمعه موسى أو تلقاه .

أقول تقدم الكلام على مثل هذا عند قوله ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ والله أعلم .

سورة الأنبياء

الموضع التاسع والسبعون

قال في الجزء الرابع ص ٢٣٧٣ على قوله تعالى : ﴿ وله من في السماوات والأرض ومن عنده ﴾ الآية .

قال ومن عنده المفهوم القريب أنهم الملائكة ولكننا لا نحدد ولا نقيد ما دام النص عاماً يشمل الملائكة وغيرهم والمفهوم من التعبير أنهم هم الأقرب إلى الله فكلمة عند بالقياس إلى الله لا تعني مكاناً ولا تحدد وصفاً.

أقول قوله ولكننا لا نحدد ولا نقيد كأنه لم يجزم بأنهم الملائكة وهذا خلافاً ما أجمع عليه المفسرون فلم يذكر أحد منهم غيره كابن كثير وابن الجوزي والخازن والبغوي والشوكاني وغيرهم وأيضاً فإن قوله عنده تقتضي فضلهم على غيرهم وليس في السماوات أفضل من الملائكة ولذلك يذكر الخلاف في التفضيل بين صالحي البشر والملائكة كما ذكره غير واحد من العلماء وبسط الكلام على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

وأما قوله فكلمة عند بالقياس إلى الله لا تعني مكاناً ولا تحدد وصفاً فإنه كلام باطل وهو قول أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينفون علو الله على خلقه وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون لله صفة العلو علو الذات وعلو القدر وعلو القهر على ما

يليق بجلاله وعظمته ويستدلون بالتصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده على علوه على خلقه كهذه الآية وكقوله تعالى ﴿**إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته**﴾الآية وقوله﴿**فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون**﴾ وغيرها في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي، ولمسلم عنه في حديث طويل وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده، ولمسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال ﴿ **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها** ﴾ . الحديث والله أعلم .

الموضع الثمانون

قال في الجزء الرابع في سورة الأنبياء على قوله تعالى

﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً﴾ الآية وتقريره أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقنا مسألة جديرة بالتأمل كلما تقدمت النظريات الفلكية في محاولة تفسير الظواهر الكونية فحامت حول هذه الحقيقة التي أوردها القرآن الكريم منذ أكثر من ثلاثة مائة وألف عام فالنظرية القائمة اليوم هي أن المجموعات النجمية كالمجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس وتوابعها ومنها الأرض والقمر كانت سديماً ثم انفصلت وأخذت أشكالها الكروية وأن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت ولكن هذه ليست سوى نظرية فلكية تقوم اليوم وقد تنقض غداً وتقوم غداً نظرية أخرى تصلح لتفسير الظواهر الكونية بفرض آخر يتحول إلى نظرية ألخ .

الكلام على هذا من

١ - الوجه الأول قوله إن المجموعات النجمية كالمجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس كلام لا دليل عليه بل هو ظن وتخمين والظن لا يغني من الحق شيئاً.

٢ - الوجه الثاني قوله ولكن هذه ليست سوى نظرية فلكية تقوم اليوم الخ هذا يدل على أن هذا قول بلا علم فلا يجوز الاعتماد

عليه لتناقض أهله وشكهم وحيرتهم ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** ﴾ .

٣ - الوجه الثالث: أن يقال ما دام هذا القائل لم يأت بكلام يعتمد عليه فنحن ننقل كلام أهل التفسير المحققين ليكون طالب الحق على بصيرة من أمره ولا يروج عليه الباطل فنقول أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كانت السماوات رتقاً لا تمطر وكانت الأرض رتقاً لا ينبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فأخبر ابن عمر فقال الآن علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علماً ذكره ابن كثير في تفسيره. قال وقال عطية العوفي كانت هذه رتقاً لا تمطر فأمطرت وكانت هذه رتقاً لا تنبت فأنبتت، وقال إسماعيل ابن أبي خالد سألت أبا صالح الحنفي عن قوله أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين.

الموضع الحادي والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٣٨٦ على قوله تعالى : ﴿ **قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون** ﴾ .

قال فالتهكم واضح في هذا الجواب الساخر فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم عليه السلام والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون.

أقول قوله فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم كلامم غير صحيح فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاّ ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا الحديث وفي حديث الشفاعة الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ فقال في قصة إبراهيم وذكر كذباته منها قوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا وورد كذلك في حديث ابن عباس رواه أحمد في الكذبات بمعنى ذكر ذلك الحافظ في فتح الباري ٦: ٣٩١، ٣٩٢.

الموضع الثاني والثمانون

قال في الجزء الرابع سورة الأنبياء على قوله تعالى ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر** ﴾ **الآية** .

تكثر الأقوال وتبالغ الروايات في الضر الذي مس أيوب حتى تقول إنه مرض مرضاً منفراً تحاشاه الناس بسببه وطرحوه خارج المدينة وليس وراء هذا القول من سند والرسالة تتنافى مع المرض المنفر والظاهر من نصوص القرآن إنه أصيب بالضر في أهله ونفسه.

الكلام على هذا من وجوه:

الوجه الأول: قوله تكثر الأقوال وتبالغ الروايات في الضر الذي مس أيوب ألخ هذا يوهم بطلان كل ما ورد وقد ورد بعض ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ بسند رجاله رجال الصحيح كما رواه ابن أبي حاتم . عن أنس أن رسول الله ﷺ قال إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلاّ رجلين من أخوانه كانا من أخص أخوانه له كانا يغدوان إليه يروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له إلخ الحديث وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه .

الوجه الثاني قوله والرسالة تتنافى مع المرض المنفر قول لا يوافق عليه قال القاضي عياض في كتابه الشفاء قد قدمنا أنه ﷺ وسائر الأنبياء والرسل من البشر وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على أهل هذه الدار فيها يحيون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض ﷺ واشتكى وأصابه الحرُ والقر وأدركه الجوع والعطش إلى أن قال وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه فقتلوا قتلاً ورموا في النار الخ كلامه ٢ : ١٧٩ ـ ١٨٠ .

الوجه الثالث قوله والظاهر من نصوص القرآن أنه أصيب بالصبر في أهله ونفسه جوابه أن يقال له لكن السنة قد أثبتت شيئاً من ذلك والواجب اتباع ذلك كما قال تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى وقال تعالى : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم من ربهم ﴾** والله أعلم .

الموضع الثالث والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٣٩٨ على قوله تعالى ﴿**حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**﴾ الآية وقد قلنا من قبل عند الكلام على ياجوج ومأجوج في قصة ذي القرنين في سورة الكهف اقتراب الوعد الحق الذي يقرنه السياق بفتح يأجوج ومأجوج ربما يكون قد وقع بانسياح التتار الخ.

أقول قد تقدم الكلام على هذه الآية في سورة الكهف عند قوله تعالى إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض والله أعلم.

سورة المؤمنين

الموضع الرابع والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٤٥٥ على قوله أو ما ملكت أيمانهم قال ولقد فصلت القول في مسألة الرق في الجزء الثاني من الظلال وبينت هناك أن الإسلام قد جاء والرق نظام عالمي واسترقاق أسرى الحرب نظام دولي فما كان يمكن والإسلام مشتبك في حروب مع أعدائه الواقفين بالقوة المادية في طريقه أن يلغي هذا النظام من جانب واحد فيصبح أسارى المسلمين رقيقاً عند أعدائه بينما هو يحرر أسار الأعداء فجفف الإسلام كل منابع الرق عدا أسرى الحرب إلى أن يتاح للبشرية وضع نظام دولي للتعامل بالمثل في مسألة الأسرى.

أقول تقدم الكلام على رد هذا الكلام في سورة البقرة ويأتي زيادة البحث في سورة القتال إن شاء الله والله أعلم.

الموضع الخامس والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٤٧٨ على قوله تعالى ﴿ **قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم** ﴾ الآية .

والسموات السبع قد تكون أفلاكاً سبعة أو مجموعات نجمية سبعة أو سدماً سبعة أو عوالم سبعة أو أية خلائق فلكية سبعة والعرش رمز للاستعلاء والهيمنة على الوجود.

الكلام على هذا من وجوه.

الوجه الأول قوله أو مجموعات نجمية سبعة إلخ كلام باطل والسموات ليست هي النجوم لأن الله أخبر أنه زين السماء بالنجوم قال تعالى ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين** ﴾.

الوجه الثاني أن هذا لم يقله أحد فيكون من القول على الله بلا علم وقد قال تعالى ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .

الوجه الثالث قوله والعرش رمز للإستعلاء والهيمنة على الوجود كلام باطل من وجوه:

الوجه الأول أن هذا القول لم يقله أحد ممن يعتد به بل هو من

القول على الله بلا علم.

الوجه الثاني أن الأدله من الكتاب والسنة قد دلت على اثبات العرش حقيقة وأنه ذو أركان وأن له حملة وأنه فوق المخلوقات والأدلة في ذلك متواترة قال تعالى﴿وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد﴾وقال تعالى﴿وكان عرشه على الماء﴾وقال تعالى﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وقال تعالى﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾الآية وقال تعالى﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾أفيقول عاقل ويحمل استعلاء ربك وهيمنة ربك، وأمّا السنة فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء رواه البخاري، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقها عرش الرحمن،رواه البخاري، وعن أبي سعيد الخوري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موس باطش بقائمة من قوائم العرش الحديث رواه البخاري ومسلم،وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ رواه البخاري في المناقب ومسلم وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته هذا معنى كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥: ١٥٠ والله أعلم.

الموضع السادس والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٤٨١ على قوله تعالى ﴿**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون**﴾ الآية وعملية الوزن بالميزان تجري على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير وتجسيم المعاني في صور حسية ومشاهد ذات حركة .

أقول تقدم الكلام على هذا في سورة الأعراف والله أعلم.

سورة النور

الموضع السابع والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٥١٢ ﴿ ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ فأما ما ظهر من الزينة في الوجه اليدين . فيجوز كشفه لأن كشف الوجه واليدين مباح لقوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه .

أقول أما تفسيره ما ظهر منها بالوجه واليدين فليس بالظاهر والراجح تفسيره بالثياب والجلباب ونحو ذلك كما قاله ابن مسعود وغيره من السلف لأن الظاهر من الزينة هو ما تزينت به المرأة مما هو خارج عن أصل خلقتها كالحلي والحلل فتفسير الزينة ببعض بدنها خلاف الظاهر ولا يجوز الحمل عليه إلاّ بدليل يجب الرجوع إليه. وأما حديث أسماء الذي احتج به فهو مرسل خالد بن دريك الذي رواه عن عائشة لم يسمع منها كما قاله أبو داود والله أعلم.

الموضع الثامن والثمانون

قال في الجزء الرابع ص ٢٥١٩ على قوله تعالى ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ النور الذي منه قوامها ومنه نظامها فهو الذي يهبها جوهر وجودها ويودعها ناموسها ولقد استطاع البشر أخيراً أن يدركوا بعلمهم طرفاً من هذه الحقيقة الكبرى عند ما استحالت في أيديهم ما كان يسمى بالمادة بعد تحطيم الذرة إلى إشعاعات منطلقة مؤلفة من كهارب وإليكترونات تنطلق عند تحطيمها في هيئة إشعاع قوامه هو النور فأما القلب البشري فكان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون وقرون كان يدركها كلما شف ورف وانطلق إلى آفاق النور ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله ﷺ ففاض بها وهو عائد من الطائف نافض كفيه من الناس عائذ بوجه ربه يقول أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات إلخ وفاض بها في رحلة الإسراء والمعراج فلما سألته عائشة هل رأيت ربك قال نور أنّىٰ أراه.

الكلام على هذا من وجوه

١ ـ الوجه الأول قوله النور الذي منه قوامها ومنه نظامها إلخ وهذا باطل بل النور المذكور في الآية اسم من اسمائه تعالى وأما ما ذكره فهو آثار صفته فصفته قائمة بذاته وأما آثار صفته فهو مخلوق منفصل فالتبس هذا الموضع على المعطلة فجعلوا آثار صفاته صفات له وجعلوا اسماءه وصفاته مخلوقه.

الوجه الثاني أن الله سمى نفسه بالنور فقال﴿الله نور السماوات والأرض﴾وثبت في الصحيح من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قال اللهم لك الحمـد أنت نور السماوات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض وليس معناه منـور السماوات والأرض لأنـه عطف عليـه قولـه رب السماوات والأرض ومعلوم أن اصلاح السماوات والأرض بـالأنوار وهدايتـه لمن فيهـا هي ربو بيتـه فدل على أن معنى كونه نور السماوات والأرض أمر وراء ربو بيته.

الوجه الثالث أن كلامه هذا تعطيل ولذلك جعل النور هو هذه الأنوار المخلوقات.

الوجه الرابع قوله ولقد استطاع البشر أخيراً أن يدركوا بعلمهم طرفاً من هذه الحقيقة باطل ولا يستطيعون ذلك في هذه الدار فإنـه لا طاقة لهم بذلك والدليل على ذلك أنه سبحانه لما تجلى للجبـل وظهر له أمر ما من نور ذاته المقدسة صار الجبل دكا،فروى حميد عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ في قـوله تعـالى فلما تجلى ربـه للجبـل أشـار أنس بـطرف اصبعه عـلى طـرف خنصره إلـخ رواه أحمـد والـترمـذي وابن جرير وصححه الترمذي الوجه الخامس قوله فـأما القلب فكـان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون كلما شف ورق باطل لأن نور الذات لا يدرك في هذه الحياة ولكن المعرفة إذا استولت على القلب حصل له نـور تجلي معـاني الأسماء الحسنىٰ عـلى القلب فتضيء به ظلمـة القلب أنظر مدارج السالكين جـ ٣: ص ١١٠، ص ١١١.

الـوجه السـادس قولـه ولقد ادرجهـا كاملة شـاملة قلب محمـد ففاض بها وهـو عائـد من الطائف عـائذ بـوجه ربـه بقول اعـوذ بنور

وجهك الذي اشرقت له الظلمات إلـخ هذا بـاطل أمـا بقولـه أدركها قلب محمد فهذا نـور المعرفة لانور الـذات وقلب محمد ﷺ لا تفـارقه أنوار المعرفة على كل حال فتخصيصه بذلـك الوقت بـاطل ولكن لما حمـل النور في الآيـة على غـير المعنى الصحيح ارتكب هـذا الباطـل. وقوله عائد بوجه ربه هذا قول المعطلة من الجهمية وغيرهم ممن سلب الله اسمه النور وصفته والدليل على ذلك أنه ﷺ استعاذ بنور وجهه. ولو كان مخلوقـاً لما استعـاذ به لان الإستعـاذة لا تكون إلّا بـاسماء الله وصفاته ولذلك لما خاف هذا المعطل من هذا المحذور ادعى أن لفـظة نور زائدة وهـذه دعوى بـاطلة والزيـادة خلاف الأصـل فلا تثبت إلّا بدليل يوجب ذلك.

الوجه السـابع قـوله وفـاض بها في رحلة الإسراء والمعـراج فلما سألته عائشة هل رأيت ربك قال نور أنّىٰ أراه.

أقول قوله سألته عائشـة خطأ بـل الذي سـأله أبـو ذر كما رواه سلم قبيل الطهارة وأما عائشة فكانت ترد على من قال رأى محمد ربه وتتأول ذلك أنه جبريل كما في الصحيحين عن مسروق لما سأل عائشة البخاري في التفسير ومسلم قبيل كتاب الطهارة.

وأما معنى قوله نور أنّىٰ أراه فقال ابن القيم فيه قولان أحدهمـا أنّ معنـاه ثم نور أي فهنـاك نور منعني رؤيتـه ويدل عـلى هـذا المعنى شيئان أحدهما قوله في اللفظ الآخر في الحديث رأيت نوراً فهـذا النور الـذي رآه هو الـذي حال بينـه وبين رؤيـة الذات . الثـاني قولـه في حديث أبي موسى حجـابه النور، المعنى الثاني في الحـديث أنه سبحـانه نور فلا يمكنني رؤيته إلخ كلامه فحمل الحديث على معرفـة القلب لا يصح لأن قلبه ﷺ ما زال كذلك.

الوجه الثامن أنه يلزم على كلام هذا القائـل على الله بـلا علم أن الكفـار في هذا الـزمان ادركـوا مـا أدركـه محمـد ﷺ ليلة الإسراء سبحانك هذا بهتان عـظيم وهذا مـا يجنيه القـول بلا علم عـلى أهله والكلام في هذه المسـألة طـويل لا يسعـه هذا المـوضوع انـظر مختصر الصواعق مطبعة الرياض ج٢ ص ١٨٨ إلى ٢٠٤ مجموع الفتـاوى ٦ : ٣٧٤ إلى ٣٩٧، ٥٠٧، ٥٠٩ وغيرها والله أعلم.

سورة الفرقان

الموضع التاسع والثمانون

قال في الجزء الخامس ص ٢٥٦٩ على قوله تعالى : ﴿ ولو شاء لجعله ساكناً ﴾ قال لو كانت الأرض ثابتة لسكن الظل فوقها لايمتد ولا يقبض .

أقول هذا باطل وقد تقدم في غير موضع الأدلة الدالة على ثبوت الأرض وأما معرفة الظل فإنه بواسطة الشمس فإنها هي التي تسير وتطلع وتغرب قال ابن كثير في قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً أي لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف فإن الضد لا يعرف إلاّ بضده . أهـ. وهذا القول هو المعروف عند جميع المفسرين لأنه مستقر عند جميع المسلمين أن الأرض ثابتة وأما المؤلف فإنه قلد أهل الهيئة وقال بقولهم الباطل من أن الشمس ثابتة والأرض تدور فلما بنى على هذا القول الباطل قال ما قال وسيأتي الكلام على هذا انشاء الله في سورة الملك والله أعلم،

سورة الفرقان

الموضع التسعون

قال في الجزء الخامس ص٢٥٧٠على قوله تعالى﴿**ولقد صرفناه بينهم ليذكروا**﴾قال بعض المفسرين يرجع الضمير في صرفناه إلى الماء بوصفه أقرب مذكور في العبارة ولأن القرآن لم يذكر في هذا المقام ولكننا نرجح أنّ الضمير عائد على القرآن لأنه لا شك في أن قوله وجاهدهم به يعني القرآن فهو لا يجاهدهم بالماء.

أقول قال ابن جرير يقول تعالى ذكره ولقد قسمنا هذا الماء الذي ينزلناه من السماء طهوراً لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي ليتذكروانعمي عليهم ثم اسند عن ابن عباس أنه قال ما عام بأكثر مطراً من عام ولكن الله يصرفه بين خلفه ثم قرأ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا وذكر عن ابن مسعود ومجاهد وعكرمة فحوه وكذا قال جزم بأنه المطر ابن كثير في تفسيره والبغوي والخازن وابن الجوزي. والله أعلم.

الموضع الحادي والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٥٧٢ على قوله ﴿ وهو الذي مرج **البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً** ﴾.

قال يقول صاحب كتاب الإنسان لا يقوم وحده العلم يدعو إلى الإيمان.

لبعد القمر عنا مسافة مائتين وأربعين ألفاً من الأميال، أو إلى أن قال والمريخ له قمر صغير لا يبعد عنه سوى ستة لآف من الأميال.

أقول هذا الكلام ظن وتخمين لا يستند إلى دليل وبرهان وإنما هو ظن والظن لا يغني من الحق شيئاً ومن الذي وصل إلى القمر والمريخ حتى عرف ما بينهما وما الدليل على أن للمريخ قمراً والله سبحانه وتعالى لم يذكر إلّا قمراً واحداً فمن أدعى تعدد الأقمار فعليه الدليل وأنّى له ذلك والله أعلم.

سورة الفرقان

الموضع الثاني والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٥٧٥على قوله ﴿ثم استوى على **العرش الرحمن**﴾قال أما الاستواء على العرش فهو معنى الاستعلاء والسيطرة ثم لا يدل على الترتيب الزمني إنما يدل على بعد الرتبة رتبة والإستعلاء .

أقول قوله السيطرة وما بعده كلام باطل موافق لقول أهل البدع وقد تقدم الكلام عليه في غير هذا الموضع .

وقال في الجزء الخامس أيضاً ص ٢٨٠٧ على قوله ﴿ ثم استوى **على العرش** ﴾ من سورة السجدة .

قال والاستواء على العرش رمز لاستعلائه على الخلق كله أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه إلخ كلامه .

جوابه كالذي قبله والله أعلم .

سورة الشعراء

الموضع الثالث والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٥٩٠ على قوله تعالى قال : ﴿ كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴾ .

قال فأية قوة وأي سلطان وأي حماية ورعاية أمان والله معهما ومع كل إنسان في كل لحظة وفي كل مكان ولكن الصحبة المقصودة هنا هي صحبة النصر والتأييد فهو يرسمها في صورة الإستماع الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير.

أقول قوله وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة إلخ خلاف الصواب. والصواب اثبات صفة الاستماع لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته اثباتاً بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وهذه الآية شبيهة بالحديث الصحيح ما أذن الله لشيء كإذنته لصاحب القرآن يتغنى به أي استمع كاستماعه لصاحب القرآن وهذا قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع من الجهمية ونحوهم من عطل صفات الله أو نفاها أو شيئاً عنها أو أولتها بتأويل باطل والله أعلم.

وقوله وفي كل مكان إن أراد بعلمه فهذا حق وإن أراد بذاته فهو باطل.

الموضع الرابع والتسعون

قال في الجزء الخامس ٢٦٩٢ على قوله تعالى ﴿ **أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين** ﴾ .

قال وتلقى موسى النداء المباشر تلقاه وحيداً في ذلك الوادي إلى أن قال تلقاه لا ندري كيف وبأي جارحة.

أقول مذهب أهل السنة والجماعة أن موسى سمع كلام الله بأذنية ولذلك يقال له كليم الرحمن وقد تقدم هذا في الكلام على قوله تعالى ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن** ﴾ وأما . . أهل البدع فلا يقولون بذلك بل إما أن ينفوه أو يتأولوه . والله أعلم .

سورة العنكبوت ١٨٠

الموضع الخامس والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٧١٩ على قوله تعالى ﴿ آلم ، أحسب الناس ﴾ الآية .

قال ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب لأنه من صنع الله لا من صنع إنسان.

أقول هذا خلاف قول أهل السنة فإنهم لا يقولون القرآن صنع الله وإنما يقولون القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود والله أعلم .

الموضع السادس والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٢١ على قوله أحسب الناس أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون

قال جاء في الصحيح أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه.

أقول قوله في الصحيح إن كان قصده أنه في صحيح البخاري ومسلم فليس كذلك وإنما هو في بعض السنن كما رواه الترمذي وغيره عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وإن أراد بقوله في الصحيح أن إسناده صحيح فهو كما قال والله أعلم.

الموضع السابع والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٣٤ على قوله تعالى ﴿ **ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء** ﴾ .

قال وترسم هذه الآية مشهد التدمير الذي يصاب القرية وأهلها جميعاً إلا لوطا وأهله المؤمنين وقد كان هذا التدمير بامطار وأحجار ملوثة بالطين ويغلب أنها ظاهرة بركانية قلبت المدينة وابتلعتها وامطرت عليها هذا المطر الذي يصاحب البراكين.

أقول هذا باطل فإن أهل التفسير لم يذكروا هذا القول وكيف تكون هذه العقوبة العظيمة التي عظم الله أمرها مثل بعض البراكين.

قال في فتح القدير على قوله تعالى﴿**وجعلنا عاليها سافلها**﴾أي عالي قرى قوم لوط سافلها والمعنى أنه قلبها على هذه الهيئة وهي كون عاليها صار سافلها وسافلها صار عليها وذلك لأن جبريل أدخل جناحه تحتها فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء ثم قلبها عليهم .

وقال في أضواء البيان قوله تعالى﴿**وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل**﴾اختلف العلماء في المراد بحجارة السجيل اختلافاً كثيراً والظاهر أنها حجارة من طين في غاية الشدة والقوة والدليل على أن

المراد بالسجيل الطين قوله تعالى في الذاريات في القصة بعينها﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين**﴾وخير مايفسر به القرآن القرآن والدليل على قوتها وشدتها أن الله ماعذبهم بها في حالة غضبه عليهم إلا لأن النكال بها بالغ شديد إلخ كلامه. وأيضاً فالبراكين لا ترتفع هذا الإرتفاع البليغ وأيضاً فالبراكين معتادة كثيراً بخلاف هذه العقوبة فإن الله عظم أمرها وفخمه ليعتبر العباد فلا يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح الشنيع والله أعلم

سورة الروم

الموضع الثامن والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٥٤ في الكلام على سورة الروم نزلت الآيات الأولى من هذه السورة بمناسبة معينة، ذلك حين غلبت فارس على الروم فيما كانت تضع يدها من جزيرة العرب، وكان ذلك في إبان احترام الجدل حول العقيدة بين المسلمين السابقين إلى الإسلام في مكة قبل الهجرة والمشركين، ولما كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب دينهم النصرانية، وكان الفرس غير موحدين ديانتهم المجوسية ، فقد وجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد وفألاً بانتصار ملة الكفر على ملة الإيمان.

أقول قوله وكان الفرس غير موجدين يفهم منه أن الروم موجودون وهذا باطل وإنما هم نصارى أهل كتاب ولا يوجد فيهم من هو على عقيدة التوحيد إلا أن يشاء الله والدليل على ذلك أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل عظيم الروم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم أما بعد اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين « ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » . وعن عياض بن

حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا عن أهل الكتاب رواه مسلم وكذلك حديث سلمان الفارسي لما ذهب يطلب الدين في الشام ذكر أنه لم يجد إلا الواحد بعد الواحد عليه حتى وصل إلى المدينة وأسلم وكذلك قوله استعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد كأنه يرى أن الروم موحدون وهذا باطل كما قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا** ﴾ الآية فغاير تعالى بين الذين آمنوا وبين النصارى وليس بعد الإيمان إلا الكفر وهذا واضح والله أعلم .

الموضع التاسع والتسعون

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٦٥ على قوله تعالى ﴿ ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ﴾ .

قال وظاهرة البرق ظاهرة ناشئة من النظام الكوني ويعللها بعضهم بأنها تنشأ من انطلاق شرارة كهربائية بين سحابتين محملتين بالكهرباء أو بين سحابة وجسم أرضي كقمة جبل مثلاً ينشأ عنها تفريغ في الهواء يتمثل في الرعد الذي يعقب البرق.

أقول ما زعمه من تعليل بعضهم باطل لأسباب ثلاثة الأول أنه ظن وتخرص لا دليل عليه والظن لا يغني من الحق شيئاً ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ أمقعده من النار الثاني أنه خلاف قول المفسرين في البرق قال ابن الجوزي في تفسيره على سورة البقرة وفي البرق ثلاثة أقوال أحدها أنه مخاريق يسوق بها ملك السحاب روي هذا المعنى رفوعا إلى النبي ﷺ[1] وهو قول علي بن أبي طالب وفي رواية عن علي قال هو ضربة بمخراق من حديد وعن ابن عباس أنه ضربة بسوط من نور قال ابن الأنباري المخاريق ثياب تلف ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضاً فشبه السوط الذي يضرب به السحاب بذلك المخراق قال عمرو بن كلثوم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب .

كأن سيوفنا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا .

وقال مجاهد البرق مصع ملك والمصع الضرب والتحريك والثاني أن البرق الماء قاله أبو الجلد وحكى ابن فارس أن البرق تلألؤ الماء

والثالث أنه نار تنقدح من احكاك أجرام السحاب لسيره وضرب بعضه لبعض حكاه شيخنا انتهى .

الثالث أنه خلاف ما ذكره المفسرون في تفسير الرعد قال ابن الجوزي وفي الرعد ثلاثة أقوال .

أحدها أنه صوت ملك يزجر السحاب وقد روى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺوبه قال ابن عباس ومجاهد وفي رواية عن مجاهد أنه صوت ملك يسبح وقال عكرمة هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل .

والثاني أمه ريح تختنق بين السماء والأرض وقد روى عن أبي الجلد أنه قال الرعد الريح واسم أبي الجلد جيلان بن أبي مروة البصري وقد روى عنه قتادة .

والثالث أنه اصطكاك أجرام السحاب حكاه شيخنا علي بن عبدالله انتهى والله أعلم .

سورة لقمان

الموضع المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٨٥ على قوله : ﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها ﴾ .

قال وسواء كانت السماوات هذه الكواكب والنجـوم والمجرات والسدم السابحة في الفضاء .

أقول تفسير السماوات بالكواكب باطـل مخالف للقـرآن والسنة وإجمـاع العلماء قال تعـالى : ﴿ إن ربكم الله الـذي خلق السمـاوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمروالنجوممسخرات بأمره ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السمـاوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ فغاير بين النجوم والسمـاوات فدل على أن الكواكب غير السماوات والآيات في ذلك كثيرة كـما قال تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ وقال تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ فأخبر أنه يطوي السماء وقال تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ ففرق بينهما وقال تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ وقال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات

يهتدي بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له وأيضاً النبي ﷺ لما أسري به كلما أتى سماء استأذن ففتح عليه حتى جاوز سبع سماوات فدل على أن السماوات مبنية والنجوم في السماء وليست هي السماوات وأما قوله السابحة في الفضاء فهذا خلاف ما أخبر الله به في كتابه من جعله النجوم في السماء كما قال تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا ﴾ الآية . وقد تقدم الكلام على هذا في غير موضع والله أعلم .

سورة لقمان

الموضع الحادي بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٨٦ على قوله ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ .

قـال والـرواسي الجبـال ويقـول علماء طبقـات الأرض إنها تضاريس في قشرة الكرة الأرضية تنشأ من برودة جو في الأرض وتجمد الغازات فيه .

أقول هذا القول يحتاج إلى دليل والله قد أخبر في كتابه أنه خلق الجبال وأرساها قال تعالى : ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ وغير ذلك من الآيات وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد . الحديث رواه الإمام أحمد والله أعلم .

الموضع الثاني بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٧٩٩ على قوله ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث** ﴾ الآية .

قال فاختصاص الله في الغيث هو اختصاص القدرة كما هو ظاهر من النص وقد وهِمَ الذين عدوه في المغيبات المختصة بعلم الله .

أقول قوله وقد وهم الذين عدوه في المغيبات . قول باطل وكلام مردود لأنه رد على رسول الله ﷺوالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺمفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم أحد ما يكون في غد ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت وما يدري أحد متى يجيءالمطر» . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال خمس لا يعلمهن إلا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية رواه البخاري ومسلم .

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود:قال كل شيء أوتيه بينكم ﷺ إلا علم الغيب الخمس إن الله علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام-الآية ، وأخرج عنده عن مجاهد قال هن مفاتح الغيب التي قال الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وأخرج عن قتادة إن الله عنده علم الساعة الآية أشياء من الغيب استأثر الله بهن فلم

يطلع عيهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار ﴿وينزل الغيث﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً ينزل إلخ .

وقال البخاري في صحيحه باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله وقال أبو هريرة عن النبي ﷺ خمس لا يعلمهن إلا الله ثم ذكر حديث ابن عمر المذكور قبل، قال في أضواء البيان وقال القرطبي في تفسير هذه ما نصه فمن قال إنه ينزل الغيث غداً وجزم به فهو كافر أخبر عنه بإمارة ادعاها أم لاج٢ : ص ١٧٦ سورة الأنعام والله أعلم .

الموضع الثالث بعد المائة

قال في الجزء الخامس سورةالسجدةعلى قوله تعالى﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستةأيام ثم استوى على العرش﴾ الإستواء على العرش رمز لاستعلائه على الخلق كله أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه ولا بد من الوقوف عند لفظه وليس كذلك الإستواء فظاهر أنه كناية عن الإستعلاء ولفظ « ثم » لا يمكن قطعاً أن يكون للترتيب الزمني لأن الله سبحانه لا تتغير عليه الأحوال إلخ .

أقول هذا قول الجهمية المعطلة ومن أخذ عنهم وقد تقدم الكلام على هذا المبحث في سورة الأعراف والله أعلم

سورة سبأ

الموضع الرابع بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٨٩٣ على قوله تعالى : ﴿ **ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين** ﴾ وأقرب تفسير لقوله تعالى ﴿ **إلا في كتاب مبين** ﴾ أنه علم الله الذي يقيد كل شيء ولا يند عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

أقول هذا مردود لوجوه الأول أن العلم قد تقدم في أول الآية كما قال تعالى﴿**عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض**﴾الآية فلابد من ذكر هذا من فائدة أخرى وتفسيره بالعلم لا يحصل المقصود الثاني أن هذا خلاف قول المفسرين قال ابن جرير في تفسيره عند هذه الآية ولا أصغر من ذلك يقول ولا يغرب عنه أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر منه إلا في كتاب مبين يقول هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يغرب عن ـ لمه وقال الخازن في تفسيره إلا في كتاب مبين قال اللوح المحفوظ وقال في فتح القدير إلا في كتاب مبين قال مثبت في اللوح المحفوظ

الثالث أن تفسيره باللوح المحفوظ هو الموافق للآيات المذكور في غيره هذه السورة كما قال تعالى : ﴿ **وكل شيء حصيناه كتاباً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ وغيرها من الآيات فظهر أن الراجع هو تفسيره باللوح المحفوظ خلاف ما قرره والله أعلم .

سورة فاطر

الموضع الخامس بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٣٧ قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله** ﴾ الآية ، والإنسان ساكن صغير من سكان هـذه الأرض والأرض تابع صغير من توابع الشمس والشمس نجم مما لا عد لـه ولا حصر من النجـوم . والنجوم إن هي إلا نقط صغيـرة ـ عـلى ضخامتها الهائلة ـ متناثرة في فضاء الكون الذي لايعلم الناس حدوده . وهذا الفضاء الذي تتناثر فيه تلك النجوم كالنقط التائهة إن هو إلا بعض خلق الله .

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله والأرض تابع صغـير من توابـع الشمس هذا لا دليل عليه.

الوجه الثاني قوله والشمس نجم خلاف ما ذكره الله في كتابه كما قال تعالى : ﴿ **وسخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يسجـد له من في السمـاوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم** ﴾ الآية ونحوها من الآيات الدالة على مغايرة الشمس للنجوم لأن العطف يقتضي المغايرة .

الوجه الثالث قوله والنجوم متناثرة في فضـاء الكون خـلاف ما أخبر الله به من أنه جعلها زينة للسماء وأنه جعل في السماء بروجـا ولم يذكر أنه جعل النجوم متناثرة في فضاء الكون والله أعلم.

سورة يس

الموضع السادس بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٦٨ على قوله تعالى ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها** ﴾ .

والشمس تدور حول نفسها وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها. ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها. إنما هي تجري. تجري فعلاً تجري في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون بآثني عشر ميلاً في الثانية. والله ـ ربها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها ـ يقول: إنها تجري لمستقر لها. هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه. ولا يعلم موعده سواه.

وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف لحجم أرضنا هذه. وأن هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء. ولا يسندها شيء. ندرك طرفاً من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم.

الكلام على هذا من وجوه.

الوجه الأول قوله والشمس تدور حول نفسها كلام باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع العلماء قال تعالى ﴿ **قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب** ﴾ فلو كانت ثابتة

تدور حول نفسها لما قال ﴿يأتي بالشمس من المشرق﴾ والذي لا يجري لا يؤتى به من المشرق إلى المغرب فمن زعم أن الشمس ثابتة تدور حول نفسها فهو مكذب لكتاب الله عز وجل وقال تعالى ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين إذا غربت تقرضهم ذات الشمال**﴾ فمن ادعى أن الشمس ثابتة فقد رد ما صرح الله به في كتابه من طلوع الشمس وغروبها لأن كونها ثابتة بنا في طلوعها وغروبها والآيات في ذلك كثيرة وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى ترتفع وإذا غاب حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ غزا نبي من الأنبياء فدنا من القرية وقد دنت الشمس للغروب فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست ففتح الله له متفق عليه فهذان الحديثان صريحان في طلوع الشمس وغروبها وتسيرها ولو كانت واقفة ثابتة لما احتاج أن يقول اللهم احبسها ولكان يقول اللهم امسك علينا دوران الأرض حتى لا تغرب الشمس، وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين غربت الشمس أتدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ قال الحافظ ابن حجر في الكلام على هذا الحديث والغرض منه هنا بيان مسير الشمس في كل يوم وليلة وظاهره مغاير لقول أهل الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك فإنه يقتضي أن الذي

يسير هو الفلك وظاهر الحديث أنها هي التي تسير وتجري ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿**كل في فلك يسبحون**﴾ أي يدورون إلخ كلامه في فتح الباري ٦ : ٢٩٩ .

الوجه الثاني قوله وكان المظنون أنها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها جوابه أن يقال هذا ظن باطل لمخالفته ما ورد في الكتاب والسنة وإجماع العلماء وقد قال تعالى ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ .

الوجه الثالث قوله ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة في مكانها إنما هي تجري جوابه أن يقال هذا هو الحق وهو المستقر عند المسلمين ولم يقع عندهم فيه شك ولا ريب ولم يخالف في ذلك إلا بعض الفلاسفة الذين لم يرفعوا بما جاءت به الرسل رأسا وهذا الرجل متناقض لا يثبت على ركن وثيق الآن يثبت جريان الشمس وأنها ليست مستقرة في مكانها وفي مواضع أخر قبل هذه السورة وبعدها يقول إن الأرض هي التي تدور حول الشمس وبذلك تعلم الفصول .

الوجه الرابع قوله بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية جوابه أن يقال هذا ظن باطل وأنّى لهم بإدراك ذلك والشمس في السماء وبيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام .

الوجه الخامس قوله هذا المستقر الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إلا هو سبحانه ولا يعلم موعده سواه جوابه أن يقال قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لما سأله أبو ذر عن هذه الآية قال مستقرها تحت

العرش رواه البخاري ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره إلى أن قال والقول الثاني أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم إلىٰ غايته إلى آخر كلامه ٣: ٥٧١، ٥٧٢ الوجه السادس قوله وحين نتصور أن حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون إلخ جواب أن يقال هذا تخرص وظن والظن لا يغني مني الحق شيئاً ومن الذي صعد إلى السماء وقاس حجم الشمس وسار في جميع نواحي الأرض حتى عرف تفاوت ما بينهما والله أعلم.

الموضع السابع بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٦٩ على قوله تعالى ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر** ﴾ .

ولكل نجم أو كوكب فلك. أو مدار. لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه. والمسافة بين النجوم والكواكب مسافات هائلة. فالمساحة بين أرضنا هذه وبين الشمس تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال. والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتي ألف من الأميال. وهذه المسافات على بعدها ليست شيئاً يذكر حين تقاس إلى بعد ما بين مجموعتنا الشمسية وأقرب نجم من نجوم السماء الأخرى إلينا. وهو يقدر بنحو أربع سنوات ضوئية وسرعة الضوء تقدر بستة وثمانين ومائة ألف من الأميال في الثانية الواحدة (أي إن أقرب نجم إلينا يبعد عنا بنحو مائة وأربعة مليون ميل. وقد قدر الله خالق هذا الكون الهائل أن تقوم هذه المسافات الهائلة بين مدارات النجوم والكواكب. ووضع تصميم الكون على هذا النحو ليحفظه بمعرفته من التصادم والتصدع ـ حتى يأتي الأجل المعلوم ـ فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر. والليل لا يسبق النهار. ولا يزحمه في طريقه. لأن الدورة التي تجيء بالليل والنهار لا تختل أبداً فلا يسبق أحدهما الآخر أو يزحمه في الجريان اهـ.

الكلام على هذا من وجوه قد تقدمت في موضع وأن هذا كله

لا دليل عليه بل هو ظن والظن لا يغني من الحق شيئاً ومـا ادعاه من المجموعة الشمسية دعوى باطلة لا دليل عليها بل الشمس واحدة كما في الآية المذكـورة وغيرهـا. وكذلـك ما ذكـره من المسافـة بين القـرم والأرض وبـين النجوم وسرعـة الضوء كله ظن وتخمـين لا يستند إلى برهان وقد قال تعالى ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئا** ﴾ والله أعلم .

الموضع الثامن بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٧٧ على قوله تعالى ﴿ أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ الآية .

والسماوات والأرض خلق عجيب هائل دقيق، وهذه الأرض التي نعيش عليها ويشاركنا ملايين الأجناس والأنواع. ثم لا نبلغ نحن شيئاً من حجمها. ولا شيئاً من حقيقتها. ولا نعلم عنها حتى اليوم إلا القليل هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس التي تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها. وهذه الشمس واحدة من مائة مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا. والتي تؤلف دنيانا القريبة. وفي الكون مجرات أخرى كثيرة. أو دنييات كدنيانا القريبة. عدّ الفلكيون حتى اليوم منها مائة مليون مجرة بمناظيرهم المحدودة. وهم في انتظار المزيد كلما أمكن تكبير المناظير والمراصد. وبين مجرتنا أو دنيانا. والمجرة التالية لها نحو خمسين وسبع مائة ألف سنة ضوئية (السنة الضوئية تقدر بستة وعشرين مليون مليون من الأميال) وهناك كتل ضخمة من السدم التي يظن أنه من نثارها كانت تلك الشموس. وهذا هو الجزء الذي يدخل في دائرة معارفنا الصغيرة المحدودة.

تلك الشموس التي لا يحصيها العد. لكل فلك تجري فيه ولمعظمها توابع ذات مدارات حولها كمدار الأرض حول الشمس.

وكلها تجري وتدور في دقة وفي دأب. لا تتوقف لحظة ولا تضطرب. وإلا تحطم الكون المنظور واصطدمت هذه الكتل الهائلة السابحة في الفضاء الوسيع اهـ.

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس قول بلا علم يحتاج إلى دليل يثبت لك ولا دليل على ذلك فيكون باطلاً.

الوجه الثاني قوله وهذه الشمس واحدة من مائة مليون في المجرة الواحدة التي تتبعها شمسنا كلام باطل والقرآن والسنة لم يذكرا إلا شمساً واحدة فعلم أن المدعي لتعدد ذلك مبطل كما قال تعالى ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ وقال ﷺ تدنو الشمس يوم القيامة حتى تكون قدر ميل أو نحوه رواه مسلم ولم يقل تدنو الشموس. وهذا هو المطرد في الكتاب والسنة ولو كانت الشمس متعددة لذكره ولو مرة واحدة فعلم أن دعوى ذلك دعوى باطلة.

الوجه الثالث قوله كمدار الأرض حول الشمس كلام باطل من وجوه الأول قوله كمدار الأرض لا يصح بل الأرض ثابتة كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

الوجه الرابع قوله حول الشمس باطل أيضا بل الشمس هي التي تجري وتمر على جميع الأرض كما قال تعالى ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ وقال ﷺ لأبي ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس ، الحديث متفق عليه ولو كانت الأرض تدور حول الشمس لقال أتدري إلى أين تدور الأرض حول الشمس وغيره من الأحاديث الدالة على جريان الشمس وثبوت الأرض.

الوجه الخامس قوله السابحة في الفضاء الوسيع إن كان قصده الأرض فهذا باطل فإنها ليست سابحة بل هي ثابتة مرساة بالجبال كما قال تعالى **﴿والجبال أرساها﴾** وقال تعالى **﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا ﴾** وإن كان قصده الشمس والقمر فهما كما قال تعالى **﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾** وإن كان قصده الكواكب فمنها ثوابت وسيارات ، الوجه السادس قوله عد الفليكون منها حتى اليوم مائة مليون مجرة هذا ظن وتخرص وأنى للفلكيين بلوغ ذلك والنجوم في السماء وبيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة سنة فكيف يبلغون ذلك فمن ادعى الوصول إلى شيء من ذلك فقد أبعد النجعة وتكلف ما لا علم له به وأخطأ نصيبه .

الوجه السابع قوله وهناك كتل ضخمة من السدم التي يظن أنه من نثارها كانت تلك الشموس يقال وأين ذكرت هذه الشموس التي يزعمها الخراصون فهلا ذكرت في القرآن أو في السنة أو تكلم بذلك أحد من علماء المسلمين الموثوق بهم أفيظن الظانون أنهم عثروا على علم ما أخبر به الشرعوقد قال تعالى**﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** وقال ﷺ ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا ذكر لنا منه علما والله أعلم .

سورة الصافات

الموضع التاسع بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٨٣ على قوله تعالى ﴿ ورب المشارق ﴾ .

ولكل نجم مشرق ولكل كوكب مشرق فهي مشارق كثيرة في كل جانب من جوانب السماوات الفسيحة، وللتعبير دلالة أخرى دقيقة في التعبير عن الواقع في هذه الأرض التي نعيش عليها كذلك. فالأرض في دورتها أمام الشمس تتوالى المشارق على بقاعها المختلفة ـ كما تتوالى إلى المغارب ـ فكلما جاء قطاع منها أمام الشمس كان هناك مشرق على هذا القطاع، وكان هناك مغرب على القطاع المقابل له في الكرة الأرضية. حتى إذا تحركت الأرض كان هناك مشرق آخر على القطاع التالي مغرب آخر على القطاع المقابل له وهكذا. وهي حقيقة ما كان يعرفها الناس في زمان نزول القرآن الكريم. ولكن خبرهم بها الله في ذلك الزمان القديم.

الكلام على هذا من وجوه:

الوجه الأول قوله ولكل نجم مشرق ولكل كوكب مشرق الخ هذا يوهم أن هذا معنى قوله ﴿ورب المشارق﴾ وهذا خلاف ما ذكره ابن

جرير والبغوي وابن كثير وغيرهم قالو ابن جرير ﴿ ورب المشارق ﴾ مشارق الشمس في أيام السنة .

الوجه الثاني: قوله فالأرض في دورتها أمام الشمس إلخ كلام باطل تقدم في غير موضع بيان بطلانه.

الوجه الثالث قوله حتى إذا تحركت الأرض إلخ كلام باطل مخالف للقرآن كما قال تعالى﴿أم من جعل الأرض قراراً﴾الآية وقال تعالى﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾قال ابن كثير أي قارةساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها وترجف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة. وقال تعالى﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل والميد هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد والآيات في ذلك كثيرة وكذلك الأحاديث وقد روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى﴿والبيت المعمور﴾ قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ولا يعودون فيه أبداً وذكر نحوه عن مجاهد وقتاده وعكرمة وغيرهم فهذا دليل واضح على ثبوت الأرض ولو كانت تدور لما صارت الكعبة محاذية له دائماً وقد أجمع المسلمون على ثبوت الأرض وأنها لا تتحرك إلا لعارض كالزلزلة ونحوها كما ذكره الشيخ عبد القاهر بن طاهر التميمي في كتابه «الفرق بين الفرق» وقال في كتاب أصول الدين ص ٦٠ اختلفوا في هذه المسألة على مذاهب فقال المسلمون وأهل الكتاب بوقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها وبه قال جماعة من الفلاسفة منهم أفلاطون وأرسطاطاليس وبطليموس

واقليدس وزعم بعض السمنية أن الأرض تهوي أبداً بما عليها وزعم قنادوس وحكى عن ميلاوش أن الأرض تتحرك حركة دورية لكنها لا تزول عن مركزها وحكى أرسطاطاليس في كتاب السماء والعالم عن قوم من الفلاسفة أن الفلك ساكن وأن الأرض هي التي تدور بما عليها من الشرق إلى الغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة فانظر كيف حكى الإجماع على ذلك وأنه لم يخالف في ذلك إلا بعض الفلاسفة وقد قال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ .

الوجه الرابع قوله وهي حقيقة إلخ كلامه إن كان مراده أن الله خبرهم بدور أن الأرض وتحركها فهذا ليس بصحيح بل الذي أخبرهم به خلاف ذلك وهو أن الأرض ثابتة ساكنة والشمس تجري وأما دوران الأرض فهو من أقوال الفلاسفة ومن أخذ عنهم. والله أعلم.

الموضع العاشر بعد المائة.

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٨٤ على قوله تعالى ﴿ وحفظاً من كل شيطان مارد ﴾ .

ونحن لا نعرف كيف يستمع الشيطان المارد. ولا كيف يخطف الخطفة. ولا كيف يرجم بالشهاب الثاقب لأن هذه كلها غيبيات تعجز طبيعتنا البشرية عن تصور كيفياتها. ومجالنا فيها هو تصديق ما جاء من عند الله فيها، وهل تعلم عن شيء في هذا الكون إلا القشور؟

والمهم أن هذه الشياطين التي تمنع من الوصول إلى الملأ الأعلى. ومن التسمع لما يدور فيه هي التي يدعي المدعون أن بينها وبين الله نسباً. ولو كان شيء من هذا صحيحا لتغير وجه المعاملة. ولما كان مصير الأنسباء والأصهار ـ بزعمهم ـ هو المطاردة والرجم والحرق أبداً. اهـ.

أقول الجواب على هذا من وجوه تقدم بعضها.
،ويزاد عليها أيضاً.

أن يقال قوله ولا كيف يخطف الخطفة جوابه أن يقال له قد بين النبي ﷺ ذلك بقوله إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها إلى أن قال فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا

بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

قوله ولا كيف يرجم بالشهاب الثاقب يقال له جوابه ما رواه أحمد ومسلم الترمذي والنسائي عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه فرمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم قال فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون فما جاؤو به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون فيه قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم قال أرأيت وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله ﷺ.

قوله ولو كان شيء من هذا صحيحاً لتغير وجه المعاملة . ولما كان مصير الأنسباء والأصهار بزعمهم هو المطاردة والرجم والحرق أبدا .

جوابه أن يقال لا شك أن قولهم هذا باطل كما أنكر الله ذلك بقوله تعالى ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** ﴾ ولكن هذا لايمنع أن الشياطين يسترقون السمع لأسباب أخر ويرمون بالشهب كما دلك السنة على تفصيل ذلك والله أعلم .

الموضع الحادي عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٢٩٨٦ على قوله تعالى ﴿ **قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين** ﴾ .

قال أي كنتم توسوسون لنا عن يميننا كما هو كما هو المعتاد في حالة الوسوسة بالأسرار غالباً.

أقول هذا خلاف القول المشهور والقول المشهور أن معنى اليمين هنا الدين قال في فتح القدير أي كنتم تأتونا في الدنيا عن اليمين أي من جهة الحق والدين والطاعة وتصدونا عنها، قال الزجاج: كنتم تأتوننا من قبل الدين فترونا أن الدين والحق ما تضلوننا به واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله تعالى إخباراً عن إبليس﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم**﴾ قال الواحدي: قال أهل المعاني إن الرؤساء كانوا قد حلفوا لهؤلاء الأتباع أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم فمعنى تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها قال والمفسرون على القول الأول، وقيل المعنى تأتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل بها لتغدونا بذلك عن جهة النصح، والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسميه السانح، وقيل اليمين بمعنى القول أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر كما في قول ﴿ **فراغ عليهم ضرباً باليمين** ﴾ أي بالقوة والله أعلم .

سورة ص

الموضع الثاني عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠٠٦ على قوله تعالى ﴿ ص ، والقرآن ذي الذكر ﴾ .

هذا الحرف «صاد» يقسم به الله سبحانه كما يقسم بالقرآن ذي الذكر وهذا الحرف من صنعة الله . فهو موجده صوتاً في حناجر البشر . وموجده حرفاً من حروف الهجاء التي يتألف من جنسها التعبير القرآني . وهي في متناول البشر ولكن القرآن ليس في متناولهم لأنه من عند الله . وهو متضمن صنعة الله التي لا يملك البشر الإتيان بمثلها لا في القرآن ولا في غير القرآن . وهذا الصوت «صاد» الذي تخرجه حنجرة الإنسان . إنما يخرج هكذا من هذه الحنجرة بقدرة الخالق المبدع . الذي صنع الحنجرة وما تخرج من أصوات . وما يملك البشر أن يصنعوا مثل هذه الحنجرة الحية التي تخرج هذه الأصوات . وإنها لمعجزة خارقة لو كان الناس يتدبرون الخوارق المعجزة في كل جزئية من جزئيات كيانهم القريب . ولو عقلوها ما دهشوا لوحي يوحيه الله لبشر يختاره منهم . فالوحي ليس أكثر غرابة من إيداع تكوينهم هذه الخصائص المعجزات .

الكلام على هذا من وجوه .

الوجه الأول قوله وهذا الحرف من صنعة الله وموجده هذا قول الجهمية والمعتزلة القائلين إن القرآن مخلوق وأما أهل السنة والجماعة

فيقولون القرآن كلام الله منـزل غير مخلوق، منـه بدأ وإليـه يعود، قـال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٢ : ٤١ قيل للإمـام أحمد إن فـلاناً يقول لما خلق الله الأحرف سجدت له إلاّ الألف فقالت : لا أسجد حتى أؤمر فقال هذا كفر . فأنكر على من قال إن الحروف مخلوقة لأنه إذا كان جنس الحروف مخلوقا لزم أن يكون العربي والتوراة العربية وغير ذلك مخلوقاً وهذا باطل مخالف لقول السلف والأئمة ، مخالف للأدلة العقلية والسمعية كما قد بسط في غير هذا الموضع انتهى .

الوجه الثاني قوله موجوده صوتاً في حناجز البشر وموجده حرفـاً من حروف الهجاء التي يتألف من جنسها التعبـير القرآني كـلام مجمل قال شيخ الإسـلام في مجموع الفتـاوى ١٢ : ٧١ وأيضاً فلفظ الحـرف يتنـاول الحـرف المنــطوق والحـرف المكتــوب وإذاً قيـل إن الله تكلم بـالحروف المنـطوقة كـما تكلم بالقـرآن العربي وبقـوله أَلَم وحمَ وطسَمَ وطسَ ويسَ وقَ ونَ ونحو ذلك فهذا كلامه، وكلامـه غير مخلوق وإذا كتب في المصاحف كان ما كتب من كلام الرب غير مخلوق ، وإن كان المداد وشكله مخلوقاً إلى أن قال وإذا قرأه المبلغ فقد يشار إليه من حيث هو كلام الله فيقال هذا كلام الله مع قطع النظر عما بلغه به العباد من صفاتهم وقد يشار إلى نفس صفة العبد كحركته وحياته وقد يشار إليهما فالمشار إليه الأول غير مخلوق والمشار إليه الثاني مخلوق والمشار إليه الثالث فمنه مخلوق ومنه غير مخلوق انتهى .

الوجه الثالث: قوله وهو متضمن صنعة الله التي لا يملك البشر مثلها لا في القرآن هذا خلاف قول أهل السنة كما تقدم فإنهم يقولون القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ولم يقولوا صنعة الله والله أعلم.

الموضع الثالث عشر بعد المائة

قال في الجزء ٣٠١٠

على قول تعالى ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ .

كل ما في هذا الكون في حركة دائمة منتظمة الذرة الصغيرة وهي الوحدة الأولى لكل ما في الكون من شيء - حي أو غير حي - في حركة مستمرة. فهي مؤلفة من الكترونات تتحرك حول النواة المؤلفة من بروتونات، كما تدور الكواكب حول الشمس في المجموعة الشمسية. وكما تدور المجرة المؤلفة من مجموعات شمسية ومن كتل سديمية حول نفسها. واتجاه الدورة في الكواكب وفي الشمس وفي المجرة اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق . عكس دورة الساعة .

والعناصر التي تتكون منها الأرض وبقية الكواكب السيارة واحدة. وعناصر النجوم هي كذلك من عناصر الأرض. والعناصر مؤلفة من ذرات. والذرات مؤلفة من الكترونات وبروتونات ونيوترونات. كلها مؤلفة من هذه اللبنات الثلاث بلا استثناء. وفي الوقت الذي ترد فيه المادة إلى ثلاث لبنات . يرد العلماء «القوى» إلى أصل واحد: الضوء والحرارة. الأشعة السينية. الأشعة اللاسلكية. الأشعة الجيمية. وكل إشعاع في الدنيا. كلها صور متعددة لقوة واحدة تلك القوة المغناطيسية الكهربائية. إنها جميعاً تسير بسرعة واحدة وما اختلافها إلّا اختلاف موجة.

«المادة ثلاث لبنات. والقوى موجات متأصلات.

«ويأتي أنشتين وفي نظريته النسبية الخاصة. يكافئ بين المادة والقوى. ويقول: إن المادة والقوى شيء سواء. وتخرج التجارب تصدق دعواه. وخرجت تجربة أخيرة صدقت دعواه بأعلى صوت تسمعه الدنيا ذلك انغلاق الذرة في القنبلة اليودينونية .

أقول تقدم الكلام على قوله المجموعة الشمسية في غير موضع والله أعلم.

الموضع الرابع عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠١٨ على قوله تعالى ﴿ **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب** ﴾ .

قال ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب.

أقول قوله أناشيده خطأ لأن الذي يرتله هو الزبور فينبغي إجلاله عن هذا الاسم لأنه كلام الله وأما الأناشيد فهي الشعر الذي نزه تعالى كلامه عنه كما قال تعالى عن القرآن ﴿ **وما هو بقول شاهر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلاّ ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين** ﴾ والله أعلم .

الموضع الخامس عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠٢٧

وما كان لهذا الكائن الصغير الحجم المحدود القوة. القصير الأجل. المحدود المعرفة. ما كان له أن ينال شيئاً من هذه الكرامة لولا تلك اللطيفة الربانية الكريمة. وإلاّ فمن هو؟ انه ذلك الخلق الصغير الضئيل الهزيل الذي يحيا على هذا الكوكب الأرضي مع ملايين الأنواع والأجناس من الأحياء. وما الكوكب الأرضي إلاّ تابع صغير من توابع أحد النجوم. ومن هذه النجوم ملايين الملايين في ذلك الفضاء الذي لا يدري إلاّ الله مداه. فماذا يبلغ هذا الإنسان لتسجد له ملائكه الرحمن. إلاّ بهذا السر اللطيف العظيم؟ إنه بهذا السر الكريم كريم. فإذا تخلى عنه أو انفصم منه ارتد إلى أصله الزهيد. من طين.

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله الذي يحيا على هذا الكوكب الأرضي،هذا باطل وقد تقدم الكلام على ذلك في غير موضع،الوجه الثاني قوله وما الكوكب الأرضي إلاّ تابع صغير من توابع أحد النجوم هذا باطل.

الوجه الثالث قوله ملايين الملايين في الفضاء خلاف ما أخبر به الله تعالى في كتابه فإنه أخبر أنه جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا،كما قال تعالى : ﴿ إنّا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ وقال تعالى ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ وقال تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بورجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ والله أعلم .

الموضع السادس عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠٢٨ على قوله تعالى : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ .

قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي والله خالق لكل شيء فلا بد أن تكون هناك خصوصية في خلق هذا الإنسان تستحق هذا التنويه هي خصوصية العناية الربانية بهذا الكائن وإيداعه نفخة من روح الله دلالة على هذه العناية .

أقول هذه الآية صريحة في إثبات صفة اليدين لله تعالى على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل خلافاً لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ممن نفى هذه الصفة أو أولها بتأويل باطل وقد بسط العلماء الكلام على ذلك راجع كتاب التوحيد لإمام الأئمة ابن خزيمة، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ومختصر الصواعق المرسلة على المعطلة والجهمية وغيرها فإن أراد إثبات هذه الصفة فهو حق وإن أراد أن معنى الآية هو خصوصية العناية فقط فهذا باطل .

سورة الزمر
الموضع السابع عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠٦٢ على قوله تعالى **﴿والأرض جميعا قبضته﴾** الآية .

قال وكل ما ورد في القرآن وفي الحديث من هذه الصور والمشاهد، إنما هو تقريب التي لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم في تعبير يدركونه، وفي صورة يتصورونها، ومنه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة المطلقة التي لا تتقيد بشكل، ولا تتحيز في حيز، ولا تتحدد بحدود .

أقول ظاهر هذا الكلام أن هذا ضرب مثل وليس على ظاهره في القبض حقيقة، وهذا تعطيل لهذه الصفة مخالف لقول أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون صفة القبض واليدين والأصابع حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، على حد قوله تعالى **﴿ليس كمثله من وهو السمع البصير﴾** وكلامه هذا يشبه قول الزمخشري في كشافه فإنه قال لما ذكر ضحك النبي ﷺ تصديقاً لقول الحبر لما قال يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على اصبع الحديث، ثم قرأ الآية، قال وإنما ضحك أفصح العرب وتعجب منه لأنه لم يفهم منه إلّا ما يفهمه علماء البيان من غير قصور إمساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على

الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكشفها الأوهام هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلّا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل إلخ كلامه، فانظر إلى هذا التعطيل والإلحاد نسأل الله العافية فمضمون كلامه أن الرسول ﷺ إنما ذكر كلامه تخييلاً لينتفع به الجمهور لا أنه بين به الحق ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق، وهذا قول الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من أهل الكلام والتصوف كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية.

وأنا أورد بعض ما قاله أهل السنة والجماعة على هذه الآية ليتبين الحق لمن وفقه الله تعالى،قال ابن كثيّر في تفسيره يقول تبارك وتعالى **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قدره وقدرته قال مجاهد نزلت في قريش،وقال السدي: ما عظموه حق تعظيمه، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قَدره ما كذبوا، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وما قدروا الله حق قدره هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شي قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف قال البخاري قوله تعالى **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** حدثنا آدم ثنا سفيا عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إنا

نجد أن الله عز وجل يجعل السماوات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرىٰ على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول : أنا الملك فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾** الآية إلخ كلامه رحمه الله تعالى

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد باب ذكر إمساك الله تبارك وتعالى اسمه وجل ثناؤه السماوات والأرض وما عليها على أصابعه جل ربنا أن تكون أصابعه كأصابع خلقه وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه، وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب التكبير والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله، لا يصف النبي ﷺ بهذه مؤمن مصدق برسالته ثم ساق الأحاديث المتعلقة بقوله تعالى **﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾** . والله أعلم .

سورة غافر
الموضع الثامن عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠٩٠ على قوله ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ .

هـذه الأرض التي نحيا عليهـا تابـع صغير من تـوابـع الشمس تبلغ كتلتها ثلاثة من مليون من كتلة الشمس ويبلغ حجمهـا أقل من واحد من مليون من حجم الشمس. وهـذه الشمس واحدة من نحـو مائة مليون من الشموس في المجـرّة القريبـة منا. والتي نحن منهـا - وقـد كشف البشر - حتى اليوم - نحـو مائـة مليون من هـذه المجرات متناثرة في الفضاء الهائل من حولها تكاد تكون تائهة فيه،والذي كشفـه البشر جانب ضئيل صغـير لا يكاد يـذكر من بنـاء الكون وهـو - على ضآلته - هائل شاسع يدير الرؤوس مجرد تصوره. فالمسـافة بيننـا وبين الشمس نحو من ثلاثة وتسعين مليـوناً من الأميـال. ذلك أنها رأس أسرة كوكبنا الأرضي الصغير. بل هي - على الأرجح - أم هذه الأرض الصغـيرة. ولم تبعد أرضنـا عن أحضـان أمهـا بأكـثر من هذه المسـافة ثـلاثة وتسعـين مليونـاً من الأميال. أمـا المجـرة التي تتبعهـا الشمس فقطرها نحو من مائـة ألف مليون سنة ضـوئية والسنـة الضوئيـة تعني مسافة ست مائة مليون ميل لأن سرعة الضوء هي ستة وثمانون ومائـة ألف ميـل في الثانيـة. وأقرب المجـرات الأخرى إلى مجرتنا تبعـد عنا

بنحو خمسين وسبعمائة ألف سنة ضوئية.

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله هذه الأرض التي نحيا عليها تابع صغير من توابع الشمس كلام لا دليل عليه فلا يلتفت إليه لأنه من الظن والظن لا يغني من الحق شيئاً.

الوجه الثاني قوله تبلغ كتلتها ثلاثة من مليون من كتلة الشمس الخ، تخرص وظن وتخمين يحتاج إلى برهان.

الوجه الثالث قوله فالمسافة بيننا وبين الشمس نحو من ثلاثة وتسعين مليون ألخ كلامه يقال كل هذا هذيان وظن ومن الذين وصل إلى الشمس حتى قاس الذي بيننا وبينها ومن يتمكن من ذلك والذي بيننا وبين السماء خمسمائة سنة كما ثبت ذلك في السنة وقد قال تعالى **﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾** وإذا كانت في السماء فلا قدرة للخلق للوصول إليها فبطل ما ادعاه من المسافة بيننا وبين الشمس.

الموضع التاسع عشر بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٠٩١ على قوله تعالى﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾قال وللدعاء أدب لابد أن يراعى، أنه إخلاص القلب لله والثقة بالاستجابة مع عدم اقتراح صورة معينة لها أو تخصيص وقت أو ظرف فهذا الإقتراح ليس من أدب السؤال. اهـ.

أقول قوله فهذا الإقتراح ليس من أدب السؤال إن أراد أنه ليس بواجب أو ليس شرطاً في الإجابة فهذا حق وإن أراد غير ذلك فليس بصحيح فإن للدعاء آداباً وأوقاتاً إذا روعيت صارت سبباً لإجابته منها حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وأن يصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهي الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان وبين الأذان والإقامة،وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة،وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب ودلالةً وتضرعاً ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه،ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والإستغفار ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة هذا كلام العلامة ابن القيم في أول الجواب الكافي ثم ساق

أدلة بعض ذلك،وقال النووي في الاذكار باب آداب الدعاء ثم ساق الكلام على ذلك ص ٣٥٣ وكذلك ذكر السفاريني في غذاء الألباب.

قال مطلب في أداب الدعاء ثم سرد ذلك ٢/٥٠٥ وكلامهم وكلام غيرهم من أهل العلم في ذلك لا يمكن استقصاؤه فعلم أن هذا الذي قاله باطل لا يلتفت إليه والله أعلم.

سورة فصلت

الموضع العشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣١١٠ على قوله تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ إنها بلاشك أيام من أيام الله التي يعلم هو مداها . وليست من أيام هذه الأرض . فأيام هذه الأرض إنما هي مقياس زمني مستحدث بعد ميلاد الأرض ، وكما للأرض أيام هي مواعيد دورتها حول نفسها أمام الشمس فللكواكب الأخرى أيام وللنجوم أيام وهي غير أيام الأرض . بعضها أقصر من أيام الأرض وبعضها أطول . والأيام التي خلقت فيها الأرض أولاً . ثم تكونت فيها الجبال وقدرت فيها الأقوات . هي أيام أخرى مقيسة بمقياس آخر لا نعلمه ولكننا نعرف أنه أ طول بكثير من أيام الأرض المعروفة .

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله وليست من أيام هذه الأرض هذا الجزم فيه نظر قال ابن كثير في البداية والنهاية جـ ١ ص ١٥١ وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه السنة الأيام على قولين فالجمهور على أنها كأيامنا هذه وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب الأحبار إن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواهن ابن جرير والتيوابن حاتم واختار هذا القول الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله أعلم .

الوجه الثاني قوله كما للأرض أيام هي مواعيد دورتها حول نفسها أمام الشمس هذا باطل كما تقدم في غير موضع والصحيح خلافه وهو أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تجري كما قال تعالى ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قراراً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها** ﴾ .

الوجه الثالث قوله فللكواكب الأخرى أيام إلخ كلامه جوابه أن يقال له هذه دعوى تحتاج إلى برهان ولم يرد في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وكلام السلف شيء من ذلك فعلم أنه قول بلا علم وهذا كافٍ في رده وابطاله .

الموضع الحادي والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ٣٠٩٢ لو كـانت الأرض لا تدور حـول نفسها في مواجهـة الشمس ما تعـاقب الليل والنهـار لو دارت الأرض حـول نفسهـا أسرع ممـا تـدور لتنـاثـرت المنـازل. وتفككت الأرض وتناثرت هي الأخرى في الفضاء.

لـو دارت الأرض حول نفسهـا أبطأ ممـا تدور لهلك النـاس من حر ومن برد وسرعة دوران الأرض حول نفسها. هذه السرعة القائمة الكائنة اليوم هي سرعة توافق ما على الأرض من حياة حيوانية نبـاتية بـأوسع معـانيهـا لـولا دوران الأرض حـول نفسهـا لفـرغت البحـار والمحيـطات من مائهـا ماذا يحـدث لو استقـام محور الأرض. وجـرت الأرض في مـدارها حـول الشمس في دائرة. الشمس مـركزهـا؟ إذن لاختفت الفصول. ولم يدر الناس ما صيف ومـا شتاء ومـا ربيع ومـا خريف. ولو كنت قشرة الأرض أسمـك مما هي بمقـدار بضعة أقـدام لامتص ثاني اكسيد الكربون الأكسجين ولما أمكن وجود حياة النبات.

الكلام على هذا امن وجوه

الـوجه الأول قـوله لـو كانت الأرض لا تـدور حول نفسهـا في مواجهة الشمس ما تعاقب الليل والنهار يقال هذا القول بناء منـه على ان الشمس ثابتة ومعلوم أن هذا القول باطل بـل كفر لأن الله تعـالى يقول ﴿**والشمس تجري لمستقرها**﴾ وقال تعالى مخبراً عن إبراهيم أنه قال.

﴿ **فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب** ﴾ .

الوجه الثاني قول لو دارت الأرض حول نفسها أسرع مما تدور لتناثرت المنازل إلخ هذا باطل والأرض ثابتة لا تتحرك كما قال تعالى ﴿ **أم من جعل الأرض قراراً** ﴾ قال ابن كثير أي قاره ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك باهلها ولا تجرف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطاً ثابتة لا تزلزل ولا تتحرك .

الوجه الثالث قوله وجرت الأرض في مدارها حول الشمس في دائرة الشمس مركزها ، كلام باطل بل الأرض هي المركز كما ذكره شيخ الإسلام في الرسالة العرشية .

وقد أخبر الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا ﴿ **فاسقط علينا كسفاً من السماء** ﴾ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنها قال قال رسول الله ﷺ «**لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل**» الحديث رواه الترمذي والإمام أحمد ابن جرير والبيهقي وغيرهم وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

الوجه الرابع قوله إذن لاختفت الفصول ولم يدر الناس ما صيف ولا شتاء وما خريف وما ربيع جوابه أن يقال إن معرفة الفصول بدوران الشمس وثبوت الأرض لا بدوران الأرض وثبوت الشمس فإن هذا القول رد للكتاب والسنة وإجماع العلماء من أن الأرض ثابتة والشمس تجري قال العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعارة قم تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس في انخفاضها

وارتفاعها لإقامة هذه الأزمنة والفصول وما فيها من المصالح والحكم إذ لو كا الزمان كله فصلاً واحد لغابت مصالح الفصول الباقية إلخ كلامه ٢٠٨ فانظر كيف صرح بأن معرفة الفصول من طلوع الشمس على جميع العالم وأنها لو وقفت في موضع من السماء ولم تعده لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات عكس ما يقوله المبطلون من ثبوتها ودوران الأرض حولها. والله أعلم

الموضع الثاني والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣١١٢ على قوله تعالى ﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها** ﴾ . وكثيراً ما يـرد تسمية الجبـال رواسي في بعض المواضع يعلل وجود هذه الرواس « أن تميد بكم » أي أنها هي راسية . وهي ترسي الأرض . وتحفظ توازنها فلا تميل ، ولقـد غبر زمـان كان الناس يحسبون أن أرضهم هذه ثابتة راسخة على قواعد متينة . ثم جاء زمان يقال لهم الآن إن أرضكم هذه إن هي إلا كرة صغيرة سابحة في فضاء مطلق . لا تستند إلى شيء . ولعلهم يفزعون حين يقال لهم هذا الكلام أول مرة أو لعل منهم من ينظر بوجل عن يمينه وعن شماله خيفة أن تتأرجح به هذه الأرض أو تسقط في أعماق الفضاء . فليطمئن . فإن يد الله تمسكها أن تزول هي والسماء . ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده . وليطمئن فإن النواميس التي تحكم هذا الكون متينـة من صنع القوى العزيز .

ونعود إلى الجبال فنجد القرآن يقول إنها «رواسي» وأنها كذلـك تـرسى الأرض فلا تميـل ولعلها ـ كما قلنا في مـوضـع آخـر من هـذه الظلال ـ تحفظ التناسق بين القيعان فالمحيطات والمرتفعات في الأرض فتتوازن فلا تميل .

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول لقد غبر زمان كان الناس يحسبون أن أرضهم هـذه

ثابتة راسخة على قواعد متينة يقال هذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة ومشىٰ عليه الرسول ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها وماذا بعد الحق إلّا الضلال .

الوجه الثاني قوله ثم جاء زمان يقال لهم الآن إن ارضكم هذه ان هي إلا كرة صغيرة سابحة في فضاء مطلق يقال هذا باطل لأسباب السبب الأول أن هذا قول محدث خارج عن قول سلف الأئمة وأئمتها وإجماع المسلمين .

السبب الثاني أن يقال لو كان هذا صحيحاً لدل عليه القرآن والسنة ولو في موضع واحد فلما لم يدلا عليه علم أنه باطل وأما احتجاج من ادعى ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ فهو احتجاج باطل لأن هذا إنما يكون يوم القيامة باجماع المفسرين .

السبب الثالث هذا يوهم أن هناك شيئاً أسفل من الأرض وهذا باطل وقد ذكر شيخ الإسلام في الرسالة العرشية أن الأرض هي المركز وكل ما هبط فإنه ينتهي إليها وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لو رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل رواه الترمذي والإمام أحمد وابن جرير والبيهقي وغيرهم وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

الوجه الثالث قوله لقد غبر زمان إلى قوله ثم جاء زمان إلخ يقال هذا باطل وتجهيل للرسول ﷺ وأصحابه والتابعين وعلماء المسلمين الماضين وبيان ذلك أن يقال هل علموه أو جهلوه فإن قال

علموه ولم يبينوه كان ذلك قدحاً في حقهم ومعلوم ان هـذا باطـل وقد قالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً كتم شيئاً مما انزل الله فقد كذب لأن الله تعالى يقول: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾**الآية متفق عليه وهذا قـول المتفلسفة كـما أشار إليـه في مجموع الفتاوى ٥ : ٣٢ ومنهم من يقول بل الرسـول علمها لكن لم يبينهـا ولم انما تكلم بما ينـاقضها وأراد من الخلق فهم مـا يناقضهـا لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تـطابق الحق انتهى وإن قال إنهم لم يعلموا ذلك وعلمه أهل هذا الامان فهذا لا يقولـه إلا ملحد لم يقـدر الـرسول ﷺ حق قـدره قال شيـخ الإسلام قـدس الله روحه لما ذكر المنحرفين عن طريق الصحابة والتابعين لهم بإحسان قال وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طـوائف أهل التخييـل وأهل التـأويل وأهـل التجهيل فساق الكلام إلى أن قال ثم هم على قسمين منهم من يقول أن الرسول ﷺ لم يعلم الحقائق على ما هي عليه ويقولون إن من الفلاسفة الإلهية من علمها وكذلك من الأشخاص الذين يسمـونهم الأولياء من علمها ، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين ، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية باطنية الشيعة وباطنية الصوفية انتهى من مجموع الفتاوي ٥ : ٣٢ فإن قال لم تكن عندهم وسائل توصلهم إلى معرفة ذلك قيل إن الله قـادر على إعطائهم وسائل توصلهم إلى معرفة فإن قال هـذا من علم الدنيـا ولا يتعلق بالدين قيل هذا مردود من وجهين أحدهما أن هذا له تعلق بالدين وهذا العلم مسبب لرد ما ثبت في الكتاب والسنة من جريان الشمس وثبوت الأرض الوجه الثاني إذا كان إليه قد اخترا لأفضل الخلق الجهل بعلوم الدنيا وما يكون سبباً لكثرتها وخاف علينا النبي ﷺ ما يفتح علينا

من زهرة الدنيا ولم يخف علينا الفقر فالأكمل لنا أن نختار ما اختار ونزهد فيما زهد فيه .

الوجه الرابع قوله سابحة في فضاء مطلق هذا باطل بل الأرض ثابتة مرساة بالجبال وهي المركز وكل ما رمى به من أعلى فإنه ينتهي إلى الأرض السابعة وهي المركز كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير وغيرهما من العلماء.

الوجه الخامس قوله ولعلهم يفزعون حين يقال لهم هذا الكلام أول مرة إلخ نعم يفزعون وينكرون ويردون هذا القول ويحق لهم رد هذا الكلام لأسباب الأول أنه خلاف ظاهر القرآن، الثاني أنه خلاف السنة، الثالث أنه خلاف لغة العرب التي نزل بها القرآن، الرابع أنه خلاف إجماع المسلمين وأهل الكتاب، الخامس أنه خلاف الواقع فإنها لو كانت تدور ما استطاع الإنسان أن يصل إلى مقصده إذا توجه نحو المشرق وإذا طلب شيئاً من جهة المغرب ارتفع ثم وقف فأتى إليه ولم يحتج أن يذهب إليه والواقع خلاف هذا فعلم أنه كلام باطل والله أعلم .

الموضع الثالث والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس على قوله : ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ ٥ : ٣١١٤ .

والأستواء هنا القصد والقصد من جـانب الله تعالى هـو توجـه الإرادة و«ثم» قـد لا تكون للترتيب الـزمني ولكن لـلإرتقـاء المعنـوى والسماء في الحس أرفع وأرقى .

أقـول قد تقـدم معنى الإستـواء وأن الصحيـح أنـه بمعنى عـلا وارتفع كما رجحه ابن جرير.

وقوله وثـم قـد لا تكون للترتيب يقال قد تقدم أن هذا باطل وارتكابه نوع تجهم كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

الموضع الرابع والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣١١٨ على قوله تعالى﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾قال ويظهر أن هذه إشارة إلى اهتدائهم بعد آية الناقة ثم ردتهم وكفرهم بعد ذلك وإيثارهم العمى على الهدى والضلال بعد الهدى عمى أشد العمى.

أقول هذا باطل وقول بلا علم ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وبيان وجه بطلانه أنه خلاف قول المفسرين قال ابن كثير في تفسيره على قوله فهديناهم قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد بينا لهم وقال الثوري دعوناهم فاستحبوا العمى على الهدى أي بصرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا الناقة. وهكذا ذكر ابن جرير والخازن والبغوي وابن الجوزي والشوكاني وغيرهم من المفسرين لم يختلفوا في ذلك ولا ذكر أحد أنهم آمنوا ثم ارتدوا كما قال هذا القائل والذي غره والله أعلم أنه لم يفرق بين أنواع الهداية فإنها أنواع منها هداية البيان والدلالة والارشاد كما في هذه الآية وقوله تعالى﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾وهذه لاتستلزم الايمان ومنها هداية التوفيق والالهام وهذه تستلزم الايمان كما قال تعالى ﴿**إنك لاتهدي من أحببت**﴾وقد بسط الكلام على أقسام الهداية العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد جـ٢ : ٣٥، ٣٦، ٣٧ لما تكلم على آيات سورة الفاتحة فراجعه فإنه شفى وكفى.

الموضع الخامس والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣١٢٤ على قوله تعالى ﴿ **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون** ﴾ .

قال وأقرب ما يرد على القلب عند ذكر الذين عند ربك الملائكة ولكن قد يكون هنالك غير الملائكة من عباد الله المقربين.

أقول قوله ولكن قد يكون هنالك غير الملائكة ليس بصحيح وقد تقدم الكلام عليه في سورة الأنبياء على قوله تعالى : ﴿ **وله من في السماوات والأرض** ﴾ ومن عنده بما أغنى من إعادته ولله الحمد والمنة .

الموضع السادس والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣١٣٠ على قوله : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ .

لقد عرفوا أشياء كثيرة لو أدركوا كيف عرفوها وشكروا لكان لهم فيها خير كثير.

عرفوا منذ ذلك الحين أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون إن هي إلا ذرة صغيرة تابعة للشمس وعرفوا أن الشمس كرة صغيرة منها في الكون مئات الملايين وعرفوا طبيعة أرضهم وطبيعة شمسهم وربما طبيعة كونهم إن صح ما عرفوه.

الكلام على هذا من وجوه:

الوجه الأول قوله لقد عرفوا أشياء كثيرة لو أدركوا كيف عرفوها وشكروا. يقال إن كان قصده ما ذكر من شأن الأرض والشمس فهذا ليس فيه خير لأنه باطل مخالف للكتاب والسنة فكيف يعد نعمة يشكر الله عليها بل الواجب عليهم الرجوع إلى الكتاب والسنة وما أجمع عليه المسلمون فإن التمسك بذلك هو الخير الذي يستحق أن يشكر عليه لا ما عارض الشرع.

الوجه الثاني قوله عرفوا منذ ذلك الحين أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون يقال هذا هو الحق الذي دل عليه الدليل كما بسطه شيخ الإسلام في الرسالة العرشية.

الوجه الثالث قولـه إن هي إلا ذرة صغيرة تـابعة للشمس هـذا إلا دليل عليه.

الـوجه الـرابع قـوله وعـرفوا أن الشمس كـرة صغـيرة منهـا في الكون مئات الملايين يقال لهذا الزاعم إثبات هـذا يحتاج إلى دليـل ولم يذكر في الكتاب والسنة إلا شمساً واحدة ومن قال غير ذلك فهو مفتر أو ملبس عليه وقد قال تعالى﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ .

سورة الشورى

الموضع السابع والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣١٧٠ على قوله تعالى ﴿ إنه عليّ حكيم ﴾ .

قال كيف يكون هذا الإتصال بين الذات الأزلية الأبدية التي ليس لها حيز في المكان ولا حيز في الزمان إلى أن قال هذا الوحي الصادر من هناك أأقول هناك كلا إنه ليس هناك هناك الصادر من غير مكان ولا زمان ولا حير ولا حد ولا جهة .

أقول الكلام من وجوه :

الأول قوله ليس لها حيز في المكان هذا كلام أهل البدع من الجهمية ومن أخذ عنهم ،وأما أهل السنة فلم يتكلموا بهذه اللفظة ولكن يثبتون ما أثبته الله لنفسه من علوه على خلقه وأنه على العرش استوى على ما يليق بجلاله وعظمته .

الوجه الثاني قوله الصادر من غير مكان أقول إن أراد أنه لم يصدر عن مخلوق فهذا حق وإن أراد أن القرآن لم ينزله الذي هو عالٍ على جميع خلقه بذاته فهذا باطل .

الوجه الثالث قوله ولا جهة هذا قول أهل البدع وأما أهل

السنـة ولا يتكلمون بـألفاظ مبتـدعة ولكن يقـولون القـرآن كلام الله سمعه منه جبريل، ونزل به على محمد ﷺ واستدلوا بـذلك عـلى علو الله عـلى خلقه لأن النـزول المعقول لا يكـون إلا من أعلى إلى أسفـل والله أعلم.

سورة الدخان

الموضع الثامن والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٢٠٨ على قوله **﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾** .

قال والقرآن كله لم ينـزل في تلك الليلة كما أنـه لم ينزل كله في رمضان .

أقول هذا خلاف ظاهر الآية وقد تقدم الكـلام على ذلـك عند قوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . والله أعلم .

الموضع التاسع والعشرون بعد المائة

قال في الجزء الخامس ص ٣٢٠٩ على قوله تعالى ﴿رحمة من ربك إنه هو السميع العليم﴾ .

قال إن هذه العقيدة التي جاء بها القرآن في تكاملها وتناسقها جميلة في ذاتها جمالاً يحب ويعشق أقول قوله يعشق خطأ يكفي عنه لفظ الحب تأدب في هذا الباب.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الجواب الكافي لما ذكر مراتب الحب فذكرها إلى أن قال ثم العشق وهو إفراط المحبة ولهذا لا يوصف به الرب تبارك وتعالى ولا يطلق في حقه.

سورة القتال

الموضع الثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٢٨٥ على قوله تعالى : ﴿ **فإما منا بعد وإما فداء** ﴾ الآية .

قال فإذا حدث أن اتفقت المعسكرات كلها على عدم استرقاق الأسرى فإن الإسلام يرجع حينئذٍ إلى قاعدة الإيجابية الوحيدة وهي فإما مناً بعد وإما فداءً لانقطاع الأوضاع التي تقضي بالاسترقاق فليس الاسترقاق حتمياً وليس قاعدة من قواعد معاملة الأسرى في الإسلام .

أقول قد تقدم الكلام على هذا قبل وأن هذا الذي قاله مردود وحاصل الجواب أنه كان المستولى عليه من النساء والصبيان فهو رقيق بنفس السبي فيكون غنيمة للمقاتلة وإذا رأى الإمام إطلاقهم برضاهم، فله ذلك للمصلحة كما فعل النبي ﷺ في سبي هوازن وإن كان من الرجال البالغين والإمام مخير فيه بين قتله وإطلاقه واسترقاقه فدائه فما كان من ذلك أصلح فعله لا على وجه الشهوة لنفسه كما بسط في كتب الفقه أما إزالة الرق مطلقاً فهذا لا يمكن ما دام الجهاد باقياً فتنبه والله أعلم

الموضع الحادي والثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٢٩١ على قوله تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ الآية .

قال وهنالك ناس يعبدون الله لأنهم يشكرونه على نعمه التي لا يحصونها أو لأنهم يحبونه ويتقربون إليه بالطاعات تقرب الحبيب للحبيب أو لأنهم يستحيون أن يراهم الله على حالة لا يحبها ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة أو إلى نار ولا إلى نعيم أو عذاب على الإطلاق وهؤلاء يصلح لهم تربية ويصلح لهم جزاء أن يقول الله لهم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾أو أن يعلموا أنهم سيكونون في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي حتى تنفر رجلاه،فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من دنيك وما تأخر فقال ﷺ ياعائشة أفلا أكون عبداً شكوراً.

وتقول رابعة العدوية«أو لو لم تكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد ولم يخشه أحد». وتجيب سفيان الثوري وقد سألها ما حقيقة إيمانك تقول ما عبدته خوفاً من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء عبدته شوقاً إليه.

الكلام على هذا من وجوه.

الوجه الأول قوله ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة أو إلى نار

غلط. قال شيخ الإسلام وسبب غلطهم أنهم جعلوا ذلك خارجاً عن الجنة فاسقطوا حرمة اسم الجنة ولزم من ذلك أمور منكرة نظير ماذكر عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه سمع قارئا يقرأ﴿**منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة**﴾فصرخ وقال أين مريد الله فيحمد منه كونه أراد الله ولكن غلط في ظنه أن الذين ارادوا الآخرة ما أرادوا الله وهذه الآية في أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا معه بأحد وهم أفضل الخلق فإن لم يريدوا الله أفيريد الله من هو دونهم كالشبلي وأمثاله.

قال والواجب أن يعلم أن كل ما أعده الله للأولياء من نعيم بالنظر إليه وما سوى ذلك هو في الجنة كما أن كل ما وعد به أعا اءه هو في النار وقد قال تعالى﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ يقول الله أعددت لعبادي الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ ما أطلعتم عليه». وإذا علم أن جميع ذلك داخل في الجنة فالناس في الجنة على دجرات متفاوتة كما قال تعالى﴿**أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا**﴾وكل مطلوب للعبد بعبادة. أو دعاء أو غير ذلك من مطالب الآخرة هو في الجنة. وطلب الجنة والاستعاذة من النار طريق انبياء الله ورسله وجميع أوليائه السابقين المقربين وأصحاب اليمين كما في السنن أن النبي ﷺ سأل بعض أصحابه كيف تقول في دعائك قال أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك عن النار أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن. فقد أخبر أنه هو ﷺ ومعاذ وهو أفضل الأئمة الراتبين بالمدينة في حياة النبي ﷺ إنما يدندنون حول الجنة أفيكون قول أحد فوق قول رسول الله ﷺ ومعاذ ومن يصلي

خلفهما من المهاجرين والأنصار ولو طلب هذا العبد ما طلب كان في الجنة.

ثم قال الشيخ وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلّا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة» فقد أخبر أن الوسيلة التي لا تصلح إلّا لعبد واحد من عباد الله ورجا أن يكون هو ذلك العبد هي درجة في الجنة فهل بقي بعد الوسيلة شيء أعلى منها يكون خارجاً عن الجنة يصلح للمخلوقين إلى الخ كلامه رحمه الله في ذلك ١٠ : ٧٠٠ إلى ٧٠٥ . **وكل ذلك يرد قول هؤلاء الغالطين ويبين خطأهم وغلطهم في هذا الباب .**

الوجه الثاني قوله ولقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلي حتى تنفر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتصنع هذا إلخ الحديث أقول هذا لايتافى سؤال الله الجنة لأن النبي ﷺ لم يترك سؤال المغفرة مع ذلك كما صلى عنه ﷺ أنه كان يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره وكان يقول«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» وكان يقول في آخر صلاته« اللهم إلي أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر».إلخ الحديث والأحاديث في ذلك كثيرة.

الوجه الثالث فيما نقله عن رابعة أما قولها لو لم يكن جنة ولا نار لم يعبد الله أحد، فقد تقدم الكلام عليه وأن التنعم بمحبة الله ورؤيته لا يخرج عن اسم الجنة وأن غضبه وحجبه الكفار لا يخرج

عن اسم النار وأما قولها لما سألها ما حقيقة إيمانك إلخ فلا يلتفت إليه وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وقد قال تعالى ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ الآية فجعل أجلّ غاية لهم الجنة ولما بايع النبي ﷺ الأنصار ليلة العقبة قالوا فمالنا قال لكم الجنة، فلم يجعل لهم غير ذلك ولا قال لهم لا تفعلوا هذا لأجل الجنة ولكن لكذا وكذا فإن هذا فعل عبد السوء، ولما ذكر النبي ﷺ أهل الذكر الذين تحفهم الملائكة وأثنى عليهم قال فما يسألوني قالوا يسألونك الجنة قال فمم يستعيذون، قالوا يستعيذون من النار فلم يقل لو أنهم سألوا كذا وكذا لكان أفضل ولم يقل هؤلاء عبيد السوء بل نوه بهم وأثنى عليهم بذلك والله أعلم .

سورة ق

الموضع الثاني والثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٣٥٦ لما ذكر سورة ق قال كان رسول الله ﷺ يخطب بهذه السورة في العيد والجمعة فيجعلها هي موضوع خطبته ومادتها في الجماعات الحافلة.

أقول الذي ورد في الحديث أنه كان يقرأ بها في خطبة الجمعة لا العيد وأما العيد فكان يقرأ بها في الصلاة فعن أم هشام بنت حارثة ابن النعمان رضي الله عنها قالت ما أخذت ﴿ق ، والقرآن المجيد﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر خطب الناس رواه أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود ، وعن أبي واقد الليثي وسأله عمر ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر فقال كان يقرأ فيهما بـ ﴿ق ، والقرآن المجيد﴾ ﴿واقتربت﴾ رواه الجماعة إلا البخاري والله أعلم.

الموضع الثالث والثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٣٧٨ في سورة الذاريات هذا الكوكب الذي نعيش عليه أقول هذا باطل من وجوه: الوجه الأول قد أخبر الله عن الكواكب أنها تتناثر يوم القيامة كما في قوله تعالى وإذا الكواكب انتثرت قال ابن جرير تساقطت،وكذا قال ابن كثير والقرطبي والبغوي وغيرهم ولم يذكر عن الأرض مثل ذلك بل أخبر أنها تبدل كما قال تعالى﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض**﴾فعلم أن جعل الأرض كوكباً باطل.

الوجه الثاني أن الله قد أخبر أن الكواكب تنكدر يوم القيامة قال تعالى﴿**وإذا النجوم انكدرت**﴾ قال ابن جرير تناثرت من السماء فتساقطت وأصل الانكدار الانصباب كما قال العجاج أبصر خربان فضاء فانكدر وذكر عن ابن زيد قال رمي بها من السماء إلى الأرض فهذا يأخذ مه أن الكواكب يرمى بها وتتساقط إلى الأرض فإذا كانت الأرض كوكباً على زعم هذا الزاعم فأين يرمى بها.

الوجه الثالث ما أخبر الله به عن الكواكب أنها ترجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع كما قال تعالى ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارج إلى قوله إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾ ومعلوم أنهم يسترقون السمع من السماء فيأتون به إلى الأرض كما قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة

قال قال رسول الله ﷺ إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا « الحق وهو العلي الكبير » فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض فيسمع الكلمة فليقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فهذا يدل على أنهم يرمون قبل أن يصلوا إلى الأرض فعلم أنها ليست كوكباً كما يقوله هذا الزاعم وغير هذه الوجوه .

الموضع الرابع والثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٣٨٣ على قوله تعالى ﴿ **لنرسل عليهم حجارة من طين** ﴾ وهذه الحجارة لا يمتنع أن تكون حجارة بركان ثائر يقذف بالحميم الطيني من جوف الأرض .

أقول هذا باطل وقد تقدم الكلام عليه في سورة العنكبوت على قوله تعالى ﴿**ولما جاءت سلنا لوطا** ﴾ والله أعلم .

سورة الذاريات

الموضع الخامس والثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص٣٣٨٥ على قوله ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ والأيد: القوة. والقوة أوضح ما ينبىء عنه بناء السماء الهائل المتماسك المتناسق. بأي مدلول من مدلولات كلمة السماء. سواء كانت تعني مدارات النجوم والكواكب أم تعني مجموعة من المجموعات النجمنية التي يطلق عليها اسم المجرة وتحوي مئات الملايين من النجوم. أم تعني طبقة من طبقات هذا الفضاء الذي تتناثر فيه النجوم والكواكب. أم غير هذا من مدلولات كلمة السماء.

الكلام على هذا من وجوه

الأول قوله سواء كانت تعني مدارات النجوم والكواكب أم تعني مجموعة من المجموعات النجمية إلخ هذا خلاف ما قاله المفسرون قال ابن كثير والسماء بنيناها أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً وقال ابن جرير في قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد يقول تعالى ذكره والسماء رفعناها سقفا بقوة.

الثاني قوله أم تعنى طبقة من طبقات هذا الفضاء هذا قول باطل لأنه يتضمن انكار حقيقة بناء السماء ولو كان المراد به الفضاء لم يكن سقفاً الوجه الثالث أن هذا قول بلا علم ومن قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار والله أعلم.

سورة النجم

الموضع السادس والثلاثون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٤٠٤ أول سورة النجم هذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة الخ.

أقول هذا التشبيه باطل على كل حال لثلاثة أسباب السبب الأول ، أن القرآن كلام الله نزل بلغة العرب كما قال تعالى **﴿إناجعلناه قرآناً عربياً﴾** وقال تعالى : **﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾** والآيات في هذا كثيرة ولم يرد ذكر تشبيهه بالموسيقى في موضع واحد .

السبب الثاني أن الله سبحانه وتعالى نفى كونه قول شاعر وكاهن وقريش مع فصاحتهم وبلاغتهم اعترفوا بأنه لا يشبه الشعر كما قالت الوليد بن المغيرة لما سألته قريش عن القرآن قال لقد عرفنا الشعر وما هو بالشعر مع أن الشعر إذا حدي به يأخذ بالقلوب كما في الحديث الصحيح أنه كان للنبي ﷺ حاد حسن الصوت يقال له أبخشة فقال النبي ﷺ رويدك يا أبخشة لا تكسر القوارير أي النساء. فلا يجوز على هذا أن يشبه القرآن بالشعر فكيف بالموسيقى .

السبب الثالث أن الموسيقى يدعو إلى الفسق والمجون والقرآن

يدعو إلى الإيمان وخشية الله وصلاح القلوب، فكيف يشبه القرآن بنظم الموسيقى.

السبب الرابع أن الموسيقى لا تعرفه العرب وإنما هو من علوم الفلاسفة فأخذ عنهم قال في الألباب : أول من وضع علم الموسيقى وأصول الألحان فيتاغوث الهرمس أدركه بقوة الذهن وحركات الأفلاك فاستمع الأصوات ورتب الألحان الثمانية بحسب الأدوار الفلكية وأصواتها كما في تاريخ الحكماء.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

أنى يقاوم ذا العساكر طمطم	أو تنكلوشا أو أخو اليونان
أعني أرسطو عابد الأوثان أو	ذاك الكفور معلم الألحان
ذاك المعلم أولاً للحرف والثـ	ـاني لصوت بئست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي	وضعوا أساس الكفر والهذيان

قال ابن عيسى في شرحه ٢ : ٢٧٤ يعني أن أرسطو هو معلم الحرف والمراد به المنطق لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية والمعلم الثاني هو الفارابي وهو محمد بن محمد أبو نصر الفارابي التركي الفيلسوف وكان من أعلم الناس بالموسيقى بحيث كان يتوصل بصناعته إلى التأثير في الحاضرين من مستمعيه إن شاء حرك ما يبكي أو ما يضحك أو ما ينوم وكان حاذقاً في الفلسفة ومن كتبه تفقه ابن سينا وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني وتخصيص المعاد للأرواح العالمة لا الجاهلة وله مذاهب في ذلك تخالف المسلمين الله أعلم.

سورة الرحمن

الموضع السابع والثلاثون بعد المائة

﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ ٦ : ٣٤٤٧

قــال إن الشمس ليست هي أكـبر مــا في السماء من أجــرام فهنـالك في هـذا الفضاء الـذي لا يعـرف البشر لـه حـدوداً مـلايـين الملايين من النجوم منها الكثير أكبر من الشمس وأشـد حرارة وضـوءاً فالشعرى اليمانية أثقل من الشمس بعشرين مرة ونورها يعادل خمسين ضعف نـور الشمس والسماك الـرامـح حجمـه ثـمانـون ضعف حجم الشمس ونوره ثمانية آلاف ضعف وسهيل أقـوى من الشمس بألفـين وخمسمائة مـرة وهكذا ولكن الشمس هي أهم نجم بـالنسبة لنـا نحن سكان الكوكب الأرضي الصغير الذي يعيش هـو وسكانـه جميعاً عـلى ضوء الشمس وحرارتها وجاذبيتها.

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله إن الشمس ليست هي أكبر ما في السماء من أجرام. يقال هذا كلام باطل من وجوه الأول إنه خلاف ما صرح بـه القرآن قال تعالى عن إبراهيم **﴿فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين إلى قوله فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ﴾** الآية قال البغوي في تفسيره قال هذا ربي هذا أكبر أي من الكوكب والقمر وقال الخازن هذا أكبر يعني من الكوكب والقمر

الثاني أنه مخالف لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة » . رواه البخاري ومسلم فهذا يدل على أن القمر أكبر من الكوكب فكيف بالشمس التي هي أكبر من القمر وعلى قول هذا الزاعم تكون أول زمرة أعظم من الذين يلونهم وهذا في غاية البطلان ، الثالث أن هذا مجرد ظن والظن لايغني من الحق شيئا .

الوجه الثاني قوله منها الكثير أكبر من الشمس وأشد حرارة وضوء. كلام باطل كما تقدم وعن أبي الدراء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «إن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب» فهذا يدل على أن القمر أشد إضاءة من سائر الكواكب ولم يخص كوكباً من كوكب فكيف بالشمس التي هي أكبر من القمر والحديث رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

الوجه الثالث قوله فالشعرى اليمانية أثقل من الشمس بعشرين مرة ألخ . جوابه أن يقال هذا ظن وتخرص بل باطل وقد قال تعالى **﴿إن يتبعون إلاّ الظن وإن الظن لايغني من الحق شيئاً﴾** وقال تعالى **﴿قتل الخراصون﴾** وأسألك أيها القائل لذلك من الذي صعد حتى وزن الشعرى والشمس حتى أدرك الفرق بينهما والشمس في السماء كما قال تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجاً جعل فيها سراجاً وقمراً منيراً فهذه الآية ترد على من زعم الموصول إلى ذلك كما أشار إليه في أضواء البيان في الكلام على هذه الآية فراجعه فإنه بسط ذلك ووضحه.

الوجه الرابع قوله وسهيل أقوى من الشمس يقال هذا من جنس ما قبله وأما قوله ولكن الشمس هي أهم نجم بالنسبة لنا يقال

فإذا كان هـذا هو المستقـر عند العقـلاء وهو الـذي دل عليه الكتـاب والسنة ولو كان هناك غير ذلك لدل عليه الكتـاب والسنة فلما لم يـدلا على شيء من ذلك علم أنه باطل.

والعلم قـال الله قـال رسـولـه قـال الصحـابـة ليس خلف فيـه

الوجه الخامس قوله سكان الكوكب الأرضي تقدم بـطلان ذلك في غير هذا الموضع.

الوجه الخامس قوله الذي يعيش هـو وسكانـه جميعاً عـلى ضوء الشمس وحرارتها وجاذبيتها أقول قوله جاذبيتها كلام باطل يرده ثبوت الأرض وإرساؤها بالجبال وأن الله هو الذي يمسكها.

الموضع الثامن والأربعون بعد المائة

﴿والأرض وضعها للأنام﴾ ٦ : ٣٤٥٠

والبشر خليقون أن يتذكروا هذه الحقيقة في كل لحظة ، لو أنهم ألقوا بالهم إلى أن أرضهم هذه التي يركنون إليها . إن هي إلا هباءة سابحة في فضاء الله الوسيع . هباءة تسبح في هذا الفضاء المطلق . تسبح حول نفسها بسرعة نحو ألف ميل في الساعة . وتسبح مع هذا حول الشمس بسرعة ستين ألف ميل في الساعة . بينما هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها تبعد بجملتها في هذا الفضاء بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة متجهة في اتجاه واحد نحو برج الجبار في السماء .

الكلام على هذا من وجوه:

الوجه الأول قوله إن هي إلا هباءة سابحة في فضاء الله. أقول هذا قول باطل خلاف ما أخبر الله به من كون الأرض قرارا ومهادا وإرسائها بالجبال وغير ذلك.

الوجه الثاني قوله تسبح حول نفسها بسرعة نحو ألف ميل في الساعة هذه دعوى باطلة خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع من ثبوت الأرض وسكونها.

الوجه الثالث قوله وتسبح مع هذا حول الشمس بسرعة ثابتة

ولا تطلع وتغرب إلا بدوران الأرض حولها وهذا كفر وتكذيب لصريح القرآن والسنة قال تعالى **﴿والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم﴾** وقال ﷺ « إذا طلع حاجب الشمس فاخروا الصلاة حتى ترتفع وإذا غاب حاجب الشمس فاخروا الصلاة حتى تغيب » متفق عليه .

الوجه الرابع قوله المجموعة الشمسية كلها تبعد بجملتها في هذا الفضاء بسرعة عشرين ألف ميل في الساعة أقول تقدم غير موضع رد هذا القول وأنه لا حقيقة له.

الوجه الخامس قوله متجهة في اتجاه واحد نحو برج الجبار في السماء جوابه أن يقال ما هذا البرج المضاف إلى الجبار إن هذا الكلام من لا يدري ما يقول ولم يرد في الشرع برج الجبار والبروج إنما وردت مجموعة كما قال تعالى **﴿ والسماء ذات البروج ﴾** وقال تعالى **﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴾** ، أفلا تراها مطردة بلفظ الجمع ولم ترد في موضع واحد بلفظ الإفراد ولم ترد مضافة إلى الجبار كما حكاه هذا الغالط . فعلم أنه باطل .

الموضع التاسع والثلاثون بعد المائة
والموضع الأربعون بعدها

قال في الجزء السادس ص ٣٤٥٨ على قوله تعالى ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ وتلقى الخيام ظل البداوة فهو نعيم بدوي أو يمثل مطالب أهل البداوة .

أقول ليته عبر بتعبير أحسن من هذا كيف يمتن الله على أهل الجنة بهذا النعيم وينوه به ويعظمه ثم يعبر عنه بهذا اللفظ المزهد في طلبه قال البخاري في صحيحه حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبدالعزيز ابن عبدالصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن ورواه مسلم ،فرحم الله البخاري حيث ذكر هذا الحديث عند هذه الآية ترغيباً في هذا النعيم وتعظيماً له وهكذا ما ذكره في سورة الواقعة حيث قال في الجزء السادس ص ٣٤٦٤ على قوله تعالى في ﴿سدر مخضود، وطلح منضود ،وظلٍ ممدود ،وماء مسكوب﴾ قال ولأصحابنا هؤلاء نعيم مادي محسوس يبدو في أوصافه شيء من خشونة البداوة ويلبي هواتف أهل البداوة حسبما تبلغ مداركهم وتجاربهم من تصور ألوان النعيم إنهم في سدر مخضود والسدر شجر النبق الشائك ولكنه هنا مخضود شوكه ومنزوع وطلح منضود ،والطلح شجر من شجر الحجاز من نوع العضاة ، فيه شوك ولكنه هنا منضود ،معد للتناول بلا كد ولا مشقة وظل ممدود وماء مسكوب وتلك جميعاً من مراتع البدوي ومناعمه .

أقول بعضهم فسر الطلح بالموز فبطل جعله من مراتع البدوي .

سورة الواقعة

الموضع الحادي والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٤٧١على قوله تعالى﴿لايمسه إلا المطهرون﴾قال وقد روي حديثان يقرران معنى آخر وهو أن لايمس القرآن إلا طاهر ولكن ابن كثير قال عنهما وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا لا ينبغي الأخذ به الخ . .

أقول الذي في تفسير ابن كثير ومختصره ومثل هذا ينبغي الأخذ به على الإثبات لا النفي والله أعلم.

سورة الحديد

الموضع الثاني والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص٣٤٧٩على قوله تعالى﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم**﴾علم الحقيقة الكاملة فحقيقة كل شيء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها فهي مستغرقة إذن بعلم الله اللدني بها، العلم الذين لا يشاركه أحد في نوعه وصفته وطريقته مهما علم المخلوقون عن ظواهر الأشياء.

فإذا استقرت هذه الحقيقة الكبرى في قلب،فما احتفاله بشيء في هذا الكون غير الله سبحانه وكل شيء لا حقيقة له ولا وجود حتى ذلك القلب ذاته إلاّ ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى،وكل شيء وهم ذاهب حيث لا يكون ولا يبقى إلاّ الله، المنفرد بكل مقومات الكينونة والبقاء؟ وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة،فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها. وتصور مدلولها ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد وكفى.

ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى وهاموا بها وفيها وسلكوا إليها مسالك شتىٰ، بعضهم قال إنه يرى الله في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال إنه رأى الله من وراء كل شيء في الوجود وبعضهم قال إنه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود وكلها

أقوال تشير إلى الحقيقة إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال إلاّ أن ما يؤخذ عليهم على وجه الإجمال هو أنهم أهملوا الحياة بهذا التصور والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة ويعيش بها ولها بينما هو يقوم بالخلافة في الأرض بكل مقتضيات الخلافة.

الكلام عليه من وجوه

الوجه الأول قوله إلاّ ما يستمده من الحقيقة الكبرى هذا اللفظ خطأ ولم يرد عن الله ورسوله ﷺ إطلاق الحقيقة الكبرى على الله ولو قال إلاّ ما يستمده من الحق لكان أصاب كما قال تعالى **﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾** .

الوجه الثاني قوله وإن استقرار هذه الحقيقة في قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة. هذا الكلام باطل وهو يشبه قول النصارى الذين يجعلون المسيح بعضاً من الله وقول أهل وحدة الوجود الذين لا يفرقون بين الخالق والمخلوق،لأن القطعة من الشيء بعض منه يبين ذلك قوله بعده فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار فإن هذه الآية القرآنية حسبه فافهم كلامهأنه قبل أن يصل إلى هذه الحقيقة وهي أن كل شيء مستمد من هذه الحقيقة لم يصل إلى الحقيقة فإذا وصل إلى تلك الحقيقة فإنها تحيله قطعة من هذه الحقيقة. وإن اعتذر عنه حمل كلامه على أن من لم يصل إلى هذه الحال فهو ناقص وإذا وصل إلى هذه الحال فهو الواصل حقاً لأن قلبه اجتمع على الله وحده فإن أراد هذا فهو حق ولكن قوله ليحيله قطعة من هذه الحقيقة يبعد هذا الاحتمال ويقوي ما تقدم.

الوجه الثالث قوله ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرى ألخ أقول مدحه ذلك خطأ لأن السابقين الأولين لم يصدر عنهم مثل هذه الألفاظ والواجب اتباعهم والاقتداء بهم دون ما أحدث بعدهم وأما ماقاله هؤلاء المتصوفة فإن أرادوا بقولهم إن الله يرى في كل شيء أن الله حال في خلقه فهذا أقول الحلولية وهو كفر. وإن أراد بقوله إنه رأى الله فلم ير شيئاً غيره في الوجود إن أراد أن كل ما رآه هو الله فهذا قول أهل الاتحاد ابن عربي وأتباعه وقولهم أكفر من قول اليهود والنصارى، وإن أراد أنه رأى الله بعيني رأسه مدبراً لخلقه متصرفاً فيهم وكل شيء في قبضته فهذا باطل لقول النبي ﷺ واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت» رواه مسلم وإن أراد بقوله إنه رأى الله أي عرف بقلبه وبصيرته ذلك فهذا حق كما قال النبي ﷺ والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الوجه الرابع قوله والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري الخ هذا ينقض ما تقدم من قوله ليحيله قطعة من هذه الحقيقة. وقد بسط الكلام على هذا في التنبيه على«قل هو الله أحد» وبين فيه أنه رد على أهل الاتحاد في كتابه التصور الإسلامي فلعله لم يقصد في هذا الكلام ما قالوه فأخطأ في العبارة.

الموضع الثالث والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٤٨٠ وكذلك العرش فنحن نؤمن بـه كما ذكـره ولا نعلم حقيقته أمـا الاستواء عـلى العـرش فنملك أن نقول إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق.

أقول تقدم الكلام على هذا الموضع في سورة الأعراف.

الموضع الرابع والأربعون بعد المائة

﴿ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم﴾ الآية ٦: ٣٤٨٣

قال ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه «أي المؤمنين أعجب إليكم» قالوا: الملائكة. قال «وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا: فالأنبياء قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا: فنحن قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها».

أقول هذا ليس في البخاري وإنما رواه الحاكم وابن مردوية وأبو يعلى وغيرهم كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١: ٤١و٤٢.

سورة المجادلة

الموضع الخامس والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٥٠٤ على قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ .

قال وقد سمع سبحانه للمرأة وهي تحاور رسول الله فيها ولم تكد تسمعها عائشة وهي قريبة منها وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته .

أقول قوله وهي صورة إلخ كلامه تأويل لصفة السمع وصرف لها عن ظاهرها وهذا قول أهل البدع وأما أهل السنة والجماعة فيثبتون له تعالى صفة السمع على ما يليق بجلاله وعظمته راجع الحموية والواسطية وشروحها والطحاوية وشرحها وأما ما ذكره فهو من لوازم هذه الصفة وليس هو معناها .

الموضع السادس والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٥٠٨ على قوله تعالى﴿مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾الآية وهي حقيقة في ذاتها ولكنها تخرج في صورة لفظيـة عميقة التـأثير صـورة تترك القلوب وجلة تـرتعش مـرة وتأنس مرة إلى أن قال وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك.

أقول إن أراد معهم بعلمه فهذا حق إن أراد بذاته فهو باطل.

سورة الحشر

الموضع السابع والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٥٢٤و ٣٥٢٥ وجعل للإمام الحق في أن يأخذ فضول أموال الأغنياء فيردها على الفقراء وأن يوظف في أموال الأغنياء عند خلو بيت المال.

أقول إن أراد بقوله وأن يوظف في أموال الأغنياء أنه يأخذ منهم ما يحتاجه للجهاد في سبيل الله فهذا حق وإن أراد غيره فهذا ليس بلازم إذ لا يجب على أهل الأموال إلا أداء الزكاة وقد تقدم الكلام على مثل هذا المبحث عند قوله تعالى **﴿ ويأسلونك ماذا ينفقون ﴾** والله أعلم .

الموضع الثامن والأربعون بعد المائة

جـ ٦/٣٥٤٤ ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دل عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم في موادة من لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم .

أقول هذا الكلام باطل ومردود لأن الله لم يرخص في موادة كافر أبداً بل أوجب عداوته على كل حال سواء كان حربياً أو معاهداً أو ذمياً أو مستأمناً كما قال تعالى ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ﴾ والآيات في هذا كثيرة فلم يستثن أحداً دون أحد ، وأما الآية فليست في الموادة وإنما هي في برهم والاقساط إليهم وهذا شيء ، والموادة شيء آخر يدل على ذلك حديث أسماء بنت أبي بكر أنها قالت يا رسول الله : إن أمي أتتني وهي راغبة أفأصلها قال صلي أمك . وكذلك عمر لما كسىٰ أخاه الحلة وهو بمكة مشرك مع ما علم من شدة عداوته للمشركين ففرق الصحابة بين الأمرين ، قال أبو جعفر ابن جرير في الكلام على هذه الآيات لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله عز وجل عم بقوله الذي لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضاً دون بعض ولا معنى لقول من قال ذلك

منسوخ لأن بر المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ، ولا منهي عنه أذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح وقد بين صحة ما قلنا في ذلك الجزء الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها .

سورة الجمعه

الموضع التاسع والأربعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٥٦٣ في أول سورة الجمعة وتشير إلى حادث معين حيث كان رسول الله ﷺ يخطبهم في المسجد للجمعة حين حضرت قافلة من قوافلهم التجارية فما أن أعلن نبأ قدومها حتى انفض المستمعون إلى أن قال أو تركوا رسول الله ﷺ قائماً فيما عدا اثنى عشر من الراسخين فيهم أبو بكر وعمر بقوا يستمعون كما تذكر الروايات التي قد لا تكون دقيقة من حيث العدد ولكنها ثابتة من حيث وقوع هذا الحركة من عدد من الحاضرين اقتضى التنبيه إليها في القرآن الكريم.

أقول قوله التي قد لا تكون دقيقة من حيث العدد إلخ ليس كما قال بل هي ثابتة مشهورة في كتب الحديث والتفسير والفقه أشهر من نار على علم ولكن هذا يدل على قلة اطلاعه وعلمه بالحديث وقد رواه البخاري في صحيحه عن جابر في كتاب الجمعة باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم والله أعلم.

الموضع الخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٥٦٤على قوله تعالى﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم**﴾ الآية وروي عن النبيﷺأنه قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه وقال إنما نحن أمة أمية لا نحسب ولا نكتب. وقال في الحاشية ذكره الإمام الجصاص صاحب أحكام القرآن بغير إسناد.

أقول هذا دليل على قلة معرفته بالحديث كيف يخرجه أهل الكتب المشهورة ولا يعزوه إليهم ثم يعزوه إلى كتاب ليس بشعور وقد خرجه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي في كتاب الصيام وغيرهم من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما والله أعلم.

الموضع الحادي والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص٣٥٦٦ ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وقد اختار الله سبحانه تلك الأمة البدوية في شبه الجزيرة الصحراوية لتحمل هذا الدين بما علم في نفوسها وفي ظروفها من قابلية للإستصلاح فأرسل فيهم الرسول يتلو عليهم آيات الله.

أقول قوله الأمة البدوية كلام باطل وخطأ وزلة فاحشة كيف يصف المهاجرين والأنصار الذين أثنى الله عليهم بأنهم أمة بدوية والنبي ﷺ بعث من قريش وهم من أهل القرى كما قال تعالى ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى**﴾ وذم الله الأعراب قال تعالى ﴿**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ الآية والله سبحانه جعل سكنىٰ القرى يقتضي من كمال الإنسان في العلم والدين ورقة القلوب مالا يقتضيه سكنىٰ البادية ولهذا روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «من سكن البادية جفا». ولهذا كانوا يقولون لمن يستغلظونه إنك لأعرابي جاف إنك لجلف جاف يشيرون إلى غلظ عقله وخلقه وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فإنها في كتاب الله العشاء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال لا يجوز «شهادة بدوي على صاحب قرية». رواه أبو داود قال العلماء في الإمامة

في الصلاة أن الحضري أولى من البدوي فعلم أن أهل القرى أكمل من أهل البادية على العموم فكيف يوصف السابقون الأولون وقدم رسول الله ﷺ بأنهم أمة بدوية فبطل ما قاله هذا الكاتب ونقله عنه صاحب هذا الكتاب وتقرر أن الذين بعث إليهم النبي ﷺ من أهل القرى وليسوا من أهل البادية وإنما الدعوة انتشرت إلى أهل البادية كما قال تعالى ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وكأي من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلناكم** ﴾ الآية .

قال ابن كثير على قوله ﴿**نوحي إليهم من أهل القرى**﴾المراد بالقرى المدن لا أنهم من أهل البوادي الذين هم من أجفى الناس طباعاً وأخلاقاً وهذا هو المعهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعاً وألطف من أهل بواديهم وأهل الريف والسواد أقرب حالاً من الذين يسكنون في البوادي ولهذا قال تعالى﴿**الأعراب أشد كفرا ونفاقا**﴾ الآية وقال قتادة في قوله من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم من أهل العمود وفي الحديث الآخر أن رجلاً من الأعراب أهدى لرسول الله ﷺناقة فلم يزل يعطيه ويزيد وحتى رضي فقال رسول الله ﷺ**لقد هممت أن لا أنهب هبّه إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي** انتهى من ابن كثير ٢ : ٤٩٦ راجع عون المعبود شرح سنن أبي داود على حديث أبي هريرة وشرح مسلم للنووي على حديث ابن عمر وانظر ما ذكر العلماء في وجه عدم قبول شهادة البدوي على صاحب القرية وحكمة النهي عن تسمية العشاء بالعتمة والمغرب بالعشاء. والله أعلم.

سورة التغابن

الموضع الثاني والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٥٨٨ على قوله تعالى﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾الآية وفي الحديث المتفق عليه عجباً للمؤمن لا يقضي الله قضاء إلا كان خيراً إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن يصابته سراء وشكر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

أقول الحديث ليس متفقاً عليه وإنما رواه مسلم منفرداً به عن البخاري من حديث صهيب رضي الله عنه. والله أعلم.

سورة الطلاق

الموضع الثالث والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٠٦ على قوله تعالى في سورة الطلاق ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ الآية. والسموات السبع لا علم لنا بحقيقة مدلولها وأبعادها ومساحاتها وكذلك الأراضي السبع فقد تكون أرضنا هذه التي نعرفها واحدة منهن والباقيات في علم الله وقد يكون معنى مثلهن أن هذه الأرض من جنس السموات فهي مثلهن في تركيبها أو خصائصها ألخ.

أقول الكلام عليه من وجوه.

الأول قوله السماوات السبع لا علم لنا بحقيقة مدلولها جوابه ما قال في الدر المنثور أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن مجاهد في قوله هو الذي خلق ما في الأرض جميعاً قال سخر لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء قال خلق الله الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض ثارمنها دخان فذلك قوله ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات يقول خلق سبع سماوات بعضهن فوق بعض وسبع أرضين بعضهن تحت بعض وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب

رسول الله ﷺ في قوله ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات** ﴾ قال إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما سماء ثم أيبس الماء فجعلها أرضاً فتقها واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين فخلق الأرض على حوت وهو الذي ذكره في قوله ﴿ **ن والقلم** ﴾ والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت ، فالجبال تفخر على ارض فذلك قوله ﴿ **وجعل لها رواسي أن تميد بكم** ﴾ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء ، وذلك قوله ﴿ **إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض إلى قوله وبارك فيها** ﴾ يقول أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها يقول لأهلها في أربعة أيام ﴿ **سواء للسائلين** ﴾ يقول من سأل فهكذا الأمر ثم استوى إلى السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ثم فتقها فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض أوحى في كل سماء أمرها ، قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البر ، وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب ﴿ **استوى على العرش** ﴾ ١ : ٤٣ الوجه الثاني قوله وأبعادها .

قلت قد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أن بين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وورد مرفوعا من عدة طرق راجه آخر فتح المجيد وتوحيد ابن خزيمة والدر المنثور ١ : ٤٤ وأول مجموعة التوحيد وغيرها .

الوجه الثالث قوله ومساحاتها قلت صح عن ابن مسعود أن كثف كل سماء خمسمائة عام ألخ الوجه الذي قبل هذا.

الوجه الرابع قوله وكذلك الأراضي السبع فقد تكون أرضنا هذه التي تعرفها واحدة منهن أقول كأنه غير جازم بذلك وهذا خطأ وقلة معرفة بالقرآن والسنة وكلام العلماء فإن معنى الآية أن الله خلق سبع سموات وخلق مثلهن في العدد سبع أرضين وهذه الأرض التي نحن عليها واحدة منهن. قال ابن كثير في تفسيره وقوله تعالى ومن الأرض مثلهن أي سبعاً أيضا، كما ثبت في الصحيحين من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين، وفي صحيح البخاري خسف به إلى سبع أرضين وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند إلخ كلامه رحمه الله تعالى.

الوجه الخامس قوله وقد يكون معنى مثلهن في تركيبها وخصائصها أقول هذا لا دليل عليه والصحيح ما تقدم في الوجه الرابع كما في تفسير ابن جرير وابن الجوزي والبغوي والخازن والشوكاني وغيرهم وتقدم كلام ابن كثير والله أعلم.

سورة التحريم

الموضع الرابع والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٢١ على قوله تعالى ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون** ﴾ الآية .

والمأثور كذلك عن امرأة فرعون أنها كانت مؤمنة في قصره ولعلها كانت أسيوية من بقايا المؤمنين بدين سماوي قبل موسى وقد ورد في التاريخ أن أم « أمنحوتب الرابع » الذي وحد الآلهة في مصر ورمز للإله الواحد بقرص الشمس وسمى نفسه اخناتون كانت أسيوية على دين غير دين المصريين والله أعلم إن كانت هي المقصودة في هذه السورة أم أنها امرأة فرعون موسى وهو غير أمنحوتب هذا الخ .

أقول هي امرأة فرعون بلا شك وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام واسمها آسية بنت مزاحم قال ابن كثير عند هذه الآية وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى : ﴿ **لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخد أحداً إلاّ بذنبه ، ثم ذكر عن سلمان قال كانت امرأة فرعون

تعذب في الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة. وعن القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب فيقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فإن مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتي فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فابصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح إلخ كلام ابن كثير رحمه الله في تفسيره والله أعلم.

سورة تبارك

الموضع الخامس والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ٣٦٣٧ على قوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ .

فالأرض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة هي دابة متحركة بل رامحة راكضة مهطعة وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبها عن ظهرها ولا تتعثر خطاها ولا تخضه وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول ثم هي دابة حلوب مثلما هي ذلول.

إن هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل في الساعة ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة مبتعدة نحو برج الجبار في السماء ومع هذا الركض كله يبقى الإنسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معافى لا تتمزق أوصاله ولاتتناثر أشلاؤه ، بل لا يرتج مخه ولا يدوخ ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول وهذه الحركات الثلاث لها حكمة ، وقد عرفنا أثر اثنتين منها في حياة هذا الإنسان بل في الحياة كلها على ظهر هذه الأرض ، فدوره الأرض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار ولو كان الليل سرمداً لجمدت الحياة كلها من البرد

ولو كان النهار سرمداً لاحترقت الحياة كلها من الحر ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول إلخ كلامه .

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله فالأرض التي نراها ثابتة هي دابة متحركة أقول هذا القول باطل. قال في الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة إن أصله مأخوذ عن فيثاغورس اليوناني وهو قول باطل معلوم البطلان عند من نور الله قلبه بنور العلم والإيمان والأدلة على بطلانه كثيرة جداً ثم ساق الأدلة على جريان الشمس ثم قال : فصل في ذكر الأدلة على ثبات الأرض واستقرارها فأما الأدلة من القرآن ففي عدة آيات .

الآية الأولى قوله تعالى ﴿**إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً**﴾ . وهذه الآية من أوضح الأدلة على ثبات الأرض واستقرارها ولو كانت تجري وتدور على الشمس كما زعمه أهل الهيئة لكانت تزول من مكان إلى مكان وهذا خلاف نص الآية الكريمة .

الآية الثانية قوله تعالى ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ قال البغوي قال ابن مسعود رضي الله عنه قامتا على غير عمد بأمره وقال ابن كثير على قوله تعالى ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض** ﴾ بأمره كقوله تعالى : ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه** ﴾ وقوله ﴿ **إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا** ﴾ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال : والذي تقوم السماء والأرض بأمره أي هي قائمة بأمره ولها وسخيرة إياها .

وقال ابن منظور في لسان العرب ويجئ القيام بمعنى الوقوف

والثبات يقال للماشي قف لي، أي تحبس مكانك حتى آتيك، وكذلك قم لي بمعنى قف لي، وعليه فسروا قوله سبحانه وإذا أظلم عليهم قاموا قال أهل اللغة والتفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين.

إلى أن قال ومنه قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره** ﴾ فمعناه الوقوف والثبات وعدم الحركة والدوران والله أعلم الآية الثالثة قوله تعالى في سورة المؤمن : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء** ﴾ الآية قال ابن كثير رحمه الله تعالى أي جعلها لكم مستقراً بساطاً مهاداً تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم والسماء بناء أي سقفاً للعالم محفوظاً .

الآية الرابعة قوله تعالى في سور النمل ﴿**أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي**﴾الآية قال ابن كثير رحمه الله تعالى يقول أم من جعل الأرض قراراً أي قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها وترجف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء** ﴾ وقال البغوي قراراً لا تميد بأهلها قلت والقرار معناه في لغة العرب الثبات والسكون قال في القاموس وشرحه قرّ بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً وقرورا وقراً وتقره ثبت وسكن فهو قار كاستقر وتقار هو مستقر انتهىٰ ، ثم قال ابن كثير على قوله تعالى وجعل لها رواسي أي جبالا شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم .

وقال القرطبي على قوله تعالى ﴿ **وجعل لها رواسي** ﴾ يعني جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة .

الآية الخامسة قولـه تعالى في سـورة النحل ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهار وسبلاً لعلكم تهتدون** ﴾ .

الآية السادسة قوله تعالى في سورة الأنبياء ﴿ **وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم** ﴾ الآية .

الآية السابعة قوله تعالى في سورة لقمان ﴿ **خلق السموات بغير عمدة ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ الآية وفي كل من هذه الآيات دليل على استقرار الأرض وسكونها .

قـال الـراغب الأصفهـاني الميـد اضـطراب الشيء العـظيم كاضطراب الأرض قال أن تميد بكم.

وقال ابن الجوزي في تفسير سورة النحل قوله تعالى : ﴿ **وألقى في الأرض رواسي** ﴾ أي نصب فيها جبالاً ثوابت أن تميد لئلا تميد وقال الزجاج كراهة أن تميد يقال ماد الرجل يميد ميداً إذا أدير به وقال ابن قتيبة الميد الحركة والميل يقال فلان يميد في مشيته أي يتكفأ . وقال البغوي قوله تعالى : ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ أي لئلا تميد بكم أي تتحرك وتميل والميد هو الاضطراب والتكفؤ ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر ميد ، قال وهب : لما خلق الله الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة أن هذه غير مقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال .

وقلت وقـد روى عبد الـرزاق عن معمر عن قتـادة عن الحسن نحوه وروى سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد نحـو ذلك أيضـاً وروى ابن جريـر علي رضي الله عنـه قال لمـا خلق الله الأرض قمصت وقالت تخلق عليّ آدم وذريتـه يلقون عـلي نتنهم ويعملون علي بالخطايا فأرساها الله بالجبال فمنهـا ما تـرون ومنها مـا لا ترون وكـان

أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه ويشهد لهذه الآثار ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت الحديث.

وقال ابن كثير في تفسيره سورة النحل ذكر تعالى الأرض وما ألقىٰ فيها من الرواسي الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش لسبب ذلك .

وقال أيضا في تفسير سورة الأنبياء قوله : ﴿ **وجعلنا في الأرض رواسي** ﴾ أي جبالاً ، أرسى الأرض بها ، وقررها وثقلها لئلّا تميد بالناس أي تضطرب وتتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها .

وقال أيضا في تفسير سورة لقمان على قوله تعالى ﴿**وألقى في الأرض رواسي**﴾يعني الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال أن تميد بكم أي لئلا تميد بكم وقال القرطبي في تفسير سورة الأنبياء وقوله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أي جبالاً ثوابت أن تميد بهم أي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها قاله الكوفيون وقال البصريون المعنى كراهية أن تميد والميد التحرك والدوران يقال ماد رأسه أي دار.

وقال الشوكاني في تفسير قوله تعالى ﴿ **وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم** ﴾ الميد التحرك والدوران أي لئلا تتحرك وتدور بهم الآية الثامنة قوله تعالى في سورة الرعد ﴿ **وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا** ﴾ الآية قال ابن كثير أي جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض وأرسها بجبال راسيات شامخات .

وقال البغوي عند قوله تعالى ﴿ **وجعل فيها رواسي** ﴾ جبالاً ثابتة واحدتها راسية .

وقال القرطبي عند قوله تعالى وجعل فيها رواسي أي جبالاً ثوابت واحدها راسية لأن الأرض ترسوا بها أي تثبت والإرساء الثبوت.

الآية التاسعة قوله تعالى في سورة الحجر ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي** ﴾ الآية قال البغوي على قوله تعالى ﴿ **والأرض مددناها**﴾ بسطناها على وجه الماء وألقينا فيها رواسي جبالاً ثوابت وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال الآية العاشرة قوله تعالى في سورة فصلت ﴿ **وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها** ﴾ الآية قال البغوي وجعل فيها أي في الأرض رواسي جبالاً ثوابت قال القرطبي واحدها راسية لأن الأرض ترسو بها أي تثبت والإرساء الثبوت.

الآية الحادية عشرة قوله تعالى في سورة ق، ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي** ﴾ الآية قال البغوي على قوله ﴿ **والأرض مددناها** ﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿ **وألقينا فيها رواسي** ﴾ جبالاً شوامخ.

وقال ابن كثير على قوله ﴿ **والأرض مددناها** ﴾أي وسعناها وفرشناها وألقينا فيها رواسي وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها.

الآية الثانية عشرة قوله تعالى في سورة المرسلات : ﴿ **ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً** ﴾ قال ابن كثير على قوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات يعني الجبال رسي بها الأرض لئلا تميد وتضطرب الآية الثالثة عشرة قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها مرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم** ﴾ قال ابن كثير على قوله ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم وقوله ﴿ **متاعا لكم ولأنعامكم** ﴾ أي دحا الأرض فأنبع عيونها

وأظهر مكنونها وأجرى أنهارها وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها وثبت جبالها لتستقر أهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعاً لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل . الآية الرابعة عشرة قوله تعالى في سورة النبأ : ﴿ **ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً** ﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى على قوله ﴿ **ألم نجعل الأرض مهاداً** ﴾ أي ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة ﴿ **والجبال أوتاداً** ﴾ أي جعل لها أوتاد أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .

قال القرطبي على قوله ﴿ **والجبال أوتاداً** ﴾ أي لتسكن ولا تتكفأ بأهلها . وقال ابن منظور في لسان العرب أوتاد الأرض الجبال لأنها تثبتها .

الآية الخامسة عشرة قوله تعالى في سورة الزخرف﴿ **الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون** ﴾قال ابن كثير على قوله الذي جعل لكم الأرض مهداً أي فراشاً قراراً ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتتصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا.

الآية السادسة عشرة قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿ **والأرض فرشناها فنعم الماهدون** ﴾ قال ابن كثير أي جعلناها فراشاً للمخلوقات فنعم الماهدون أي وجعلناها مهداً لأهلها وقال في البداية والنهاية وقوله الأرض فرشناها أي سبطناها وجعلنا مهداً أي قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم ، وقال البغوي على قوله والأرض فرشناها بسطناها ومهدنا لكم فنعم الماهدون الباسطون ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما نعم ما وطأت لعبادي الآية السابعة عشرة قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء ﴾ الآية قال ابن كثير رحمه الله تعالى شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بأن جعل لهم الأرض فراشاً أي مهداً كالفرشا مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات والسماء بناء وهو السقف قال ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ﴾ الآية قال ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ، ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولايشرك به غيره ولهذا قال فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون قلت وقد استدل الرازي بهذه الأية على سكون الأرض وثابتها وسيأتي كلامه مع الأدلة العقلية على ثبات الأرض إن شاء الله تعالى الآية مع الأدلة العقلية على ثبات الأرض إن شاء الله تعالى الآية الثامنة عشرة قوله تعالى في سورة نوح ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾ قال البغوي على قوله ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ فرشها وبسطها لكم وقال ابن كثير أي بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكها فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها الآية التاسعة عشرة قوله تعالى في سورة الملك ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال.

وقال القرطبي في تفسيره وقيل أي ثبتها بالجبال لئلا تزول بأهلها ولو كانت تتكفأ متمايلة لما كانت منقادة لنا.

قلت قد زعم أهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من المسلمين أن الأرض تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلومتراً وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمسمائة ألف فرسخ ولو كان الأمر على ما زعموه من سير الأرض بهذه السرعة الهائلة لما كانت ذلولا للخلائق ولا فراشاً ولا مهدا، ولما استقر على ظهرها شيء من البناء والشجر فضلاً عن الحيوانات وذلك لشدة مخرها للهواء وبشدة صدم الهواء لوجهها واعتبر ذلك بالطائرة النفاثة التي لا تبلغ في سرعة سيرها عشر العشر مما زعموه في سرعة سير الأرض هل يقول عاقل أنه يمكن أن يستقر حيوان على ظهر الطائرة النفاثة وهي سائرة كلا لا يقول ذلك عاقل أبداً وإذا كان استقرار الحيوانات على ظهر الطائرة في حال سيرها مستحيلاً فكذلك الاستقرار على ظهر الأرض لو كانت تسير بالسرعة الهائلة التي زعموها بطريق الأولى ولما كانت الأرض ذلولا للخلائق وفراشاً ومهداً لهم دل ذلك على أنها ثابتة ساكنة فهذه الآية والآيات الخمس قبلها من أوضح الأدلة على سكون الأرض وثباتها.

الآية العشرون قوله تعالى في سورة الملك ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾قال ابن كثير أي تذهب وتجيء وتضطرب وقال البغوي قال الحسن تحرك بأهلها وقيل تهوي بهم وقال الراغب الأصفهاني : المور الجريان السريع يقال مار يمور مورا. قال يوم تمور السماء موراً ومار الدم على وجهه والمور التراب المتردد بالريح وناقة تمور في سيرها فهي موارة.

وقال الجوهري والهروي وغيرهما من أئمة اللغة مار الشيء يمور موراً إذا جاء وذهب.

وقال ابن الأثير وفي حديث قس ونجوم تمور أي تذهب وتجيء قلت والمعنى في قوله تعالى﴿فإذا هي تمور﴾ كالمعنى في قوله تعالى ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ قال مجاهد في تفسير هذه الآية تدور دوراً وقال الضحاك استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض ، قال ابن كثير وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة قال وأنشد أبو عبيدة معمر ابن المثنى بيت الأعشى فقال :

كأن مشيتها من بيت جارتها   مور السحابة لا ريث ولا عجل

قلت ومثل ذلك قول كعب بن زهير في الريح :

عفته رياح الصيف بعدي بمورها   وأبرته الجوزاء بالوبل والديم

وقال البغوي في تفسيره﴿يوم تمور السماء موراً﴾أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة قال قتادة تتحرك وقال عطاء الخراساني تختلف أجزاؤها بعضها في بعض وقيل تضطرب والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والإضطراب انتهى.

إذا علم هذا فآية سورة الملك دالة على أن الأرض قارة ساكنة لا تدور فتذهب وتجيء ولهذا امتن الله تبارك وتعالى على عباده بتذليلها لهم وحذرهم من عقوبته بأن يخسف بهم الأرض ويجعلها تمور بهم ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم من العصريين لكانت الأرض تمور دائماً كما تمور النجوم والسحاب والريح ولم يبقَ للتخويف بمورها فائدة.

الآية الحادية والعشرون قوله تعالى﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾

الآية الثانية والعشرون قوله تعالى ﴿**أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء**﴾ الكسف القطع .

الآية الثالثة والعشرون قوله تعالى إخباراً عن شركي قريش أنهم قالوا ﴿ **أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً** ﴾ .

الآية الرابعة والعشرون قوله تعالى إخباراً عن قوم شعيب أنهم قالوا ﴿**فاسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين**﴾ .

الآية الخامسة والعشرون قوله تعالى : ﴿**وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**﴾ووجه الاستدلال بهذه الآيات الخمس على استقرار الأرض وسكونها أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض مركزا للأثقال ومستقراً لما ينزل من السماء فلو سقطت السماء لوقعت على الأرض ولو سقط منها شيء لم يستقر إلا في الأرض ولو كانت الأرض تجري وتدور على الشمس كما زعمه أهل الهيئة الجديدة لكانت الشمس هي المركز والمستقر للأثقال وهذا تكذيب للقرآن.

وقد قال الله تعالى﴿**إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت**﴾.
وقال تعالى﴿**إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت**﴾ .

قال البغوي وغيره في قوله تعالى ﴿**وإذا النجوم انكدرت**﴾ أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض كما قال تعالى : ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ .

وروى ابن أبي حاتم بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ﴿ **يكور إليه الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً** ﴾ .

وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن كثير وكذا قال عامر الشعبي قلت ويشهد لهذا الأثر ما رواه البخاري في صحيحه حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبدالله الداناج قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال الشمس والقمر مكوران يوم القيامة .

ورواه البزار عن إبراهيم بن زياد البغدادي عن يونس بن محمد عن عبد العزيز بن المختار عن عبدالله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبدالله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول وما ذنبهما إسناده صحيح على شرط مسلم .

وروى الحافظ أبو يعلى عن أنس رضي الله عه قال رسول الله ﷺ الشمس والقمر ثوران عقيران في النار قال الهيثمي فيه ضعفاء قد وثقوا .

قلت وحديث أبي هريرة رضي الله عنه يشهد له ويقويه .

وروى ابن أبي حاتم عن الشعبي أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وجهنم هو هذا البحر

الأخضر تنتشر الكـواكب فيه وتكـور فيـه الشمس والقمـر ثم يـوقـد فيكون هو جهنم وروى الإمام أحمد وابن جرير والحاكم في مستدركـه عن يعـلى بن أمية رضي الله عنـه قال قـال رسول الله ﷺ البحـر هـو جهنم قـال الحاكم صحيـح الإسناد ووافقـه الذهبي في تلخيصـه وفي الآيات من سورتي التكوير والإنفطار مع هذه الأحاديث دليل على أن الأرض هي المركز والمستقر للأثقال وذلك يدل على سكونها وثباتها كما تقدم تقريره وفيها رد على أهل الهيئة الجديدة القائلين بحـركة الأرض ودورانها وعلى من يقلدهم ويحذو حذوهم من المسلمين.

فصل

وأما الأحاديث الدالة على استقرار الأرض وسكونها، فالأول منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت» الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي.

وهذا الحديث نص في استقرار الأرض وسكونها.

الحديث الثاني عن صفوان بن عسال المرادي أن النبي ﷺ « ذكر باباً من قبل المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً خلقه الله يوم خلق السماوات والأرض مفتوحاً يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه رواه الإمام أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية لهما إن الله عز وجل جعل بالغرب باباً عرضه مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله تبارك وتعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها الآية قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وقد رواه ابن ماجه في سننه بإسناد صحيح ولفظه إن من قبل مغرب الشمس باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فإذا طلعت من

نحـوه لم ينفع نفسـاً إيمـانها لم تكن آمنت من قبـل أوكسبت في إيمـانها خيراً.

وهذا الحديث الصحيح من أقوى الأدلة على أن الأرض قـارة ساكنة لا تدور ولا تفارق موضعها أبـداً وهذا مستفـاد من النص على أن باب التوبة ثابت في نـاحية المغـرب لا يزايله ولا يغلق حتى تـطلع الشمس من قبله ولو كان الأمـر على مـا يزعمـه أهل الهيئـة الجديـدة لكانت وجهة ذلك الباب تختلف بحسب دوران الأرض وسيرها عـلى حد زعمهم الكاذب وهذا إبطال للنص بغـير دليل شرعي بـل بمجرد الظنون الكاذبة والتوهمات الخاطئة.

الحـديث الثالث قـال أبـو الـوليـد محمـد بن عبـدالله بن أحمـد الأزرقي في أخبار مكة حدثني جدي عن سعيد بن سالم قـال أخبرني ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب مولى ابن عباس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسـول الله ﷺ البيت الذي في السـماء يقال له الضراح وهو مثل بناء هذا البيت الحرام ولو سقط سقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً.

ورواه الـطبراني فقال أنبـأنا الحسن بن علويـة القـطان حـدثنـا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحاق بن بشر أبـو حذيفـة حدثنـا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ البيت المعمور في السماء يقـال له الضراح وهو على مثـل البيت الحرام بحيـاله لـو سقط لسقط عليه يـدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط وإن لـه في السماء حـرمة عـلى قدر حرمة مكة يعني في الأرض.

قال ابن كثير وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدي وغير واحد.

وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه هل تدرون ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة.

وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه ما البيت قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً.

ثم رواه ابن جرير من حديث علي بن ربعية وأبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً رضي الله عنه عن البيت المعمور قال مسجد في السماء يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً.

ورواه أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة فقال حدثني جدي قال حدثني سفيان بن عيينه عن ابن أبي حسين عن أبي الطفيل قال سأل ابن الكواء علياً رضي الله عنه ما البيت المعمور قال هو الضراح وهو حذاء هذا البيت وهو في السماء السادسة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً وقال أيضاً حدثني أبو محمد قال حدثنا أبو

عبيدالله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا سفيان بن عيينه بنحوه إلا أنه قال في السماء السابعة وقال لا يعودون إليه أبداً إلى يوم القيامة.

وقال أيضاً حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج عن وهب بن منبه أنه وجد في التوراة بيتاً في السماء بحيال الكعبة فوق قبتها اسمه الضراح وهو البيت المعمور يرده كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً وقال الجوهري الضراح بالضم بيت في السماء وهو البيت المعمور عن ابن عباس، وقال ابن الأثير الضراح بيت في السماء حيال الكعبة، ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المضارحة وهي المقابلة والمضارعة وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد ومن رواه بالصاد فقد صحف.

وقال ابن منظور في لسان العرب الضراح بالضم بيت في السماء مقابل الكعبة في الأرض قيل هو البيت المعمور عن ابن عباس وفي الحديث الضراح بيت في السماء حيال الكعبة ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المضارحة وهي المقابلة حيال الكعبة ويروى الضريح وهو البيت المعمور من المضارحة وهي المقابلة والمضارعة وقد جاء ذكره في حديث علي ومجاهد.

وقال صاحب القاموس الضراح كغراب البيت المعمور في السماء الرابعة انتهى.

وقوله في السماء الرابعة غلط إما منه أو ممن دونه من النساخ أو الطابعين لأنه قد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن البيت المعمور في السماء السابعة والله أعلم.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما وما ذكرنا معه من الآثار المتعاضدة دليل على استقرار الأرض وسكونها وهذا مستفاد من النص على أن الكعبة بحيال البيت المعمور في السماء، وأن البيت المعمور لو سقط لسقط على الكعبة.

ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما كان البيت المعمور بحيال الكعبة ولو خر لم يخر عليها بل يخر على الشمس لأنها هي المستقرة والمركز الذي تدور عليه الأفلاك على حد زعمهم الكاذب ويلزم على هذا تكذيب الآثار المذكورة ههنا بغير مستند صحيح.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السماوات والأرض وصاغه يوم صاغ السماوات والأرض وصاغ الشمس والقمر وما حياله من السماء حرام وأنه لم يحل لأحد قبلي وإنما أحل لي ساعة من نهار ثم عاد كما كان رواه الطبراني وأبو نعيم في الحيلة من طريقه ولبعضه شواهد في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأبي شريح الخزاعي رضي الله عنهم.

وفيه دليل على استقرار الأرض وسكونها وهذا مستفاد من النص على تحريم ما حيال حرم مكة من السماء ولو كانت الأرض تدور كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما كان حرم السماء بحيال حرم الأرض في كل وقت بل يكون بحياله تارة وبحيال غيره تارات وهذا تكذيب للحديث بلا برهان الحديث الخامس عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لو أن رصاصة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة

سنة لبلغت الأرض قبل الليل الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبيهقي وقال الترمذي هذا حديث إسناده حسن صحيح .

ووجه الإستدلال بهذا الحديث على استقرار الأرض وثباتها أن الله تعالى جعل الأرض مركزاً للأثقال ومستقراً لما ينزل من السماء ولو كانت الأرض تجري وتدور على الشمس كما زعمه أهل الهيئة الجديدة لكانت الشمس هي المركز والمستقر للأثقال وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح .

وفي الحديث دليل آخر على استقرار الأرض وثباتها وذلك مستفاد من النص على أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة والنص شامل لوجه الأرض من جميع الجهات لأن النبي ﷺ أطلق ولم يخص جهة منها دون الجهة الأخرى فدل عموم النص على أن المسافة بين السماء والأرض وخمسمائة سنة من كل جهة وقد قرر الإمام أبو الحسين بن المنادي أن بعد ما بين السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد ووافقه شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية وغيره على ذلك وفي حديث عبدالله بن عمرو الذي ذكرنا دليل لما قالوه إلى أن قال الحديث السادس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما نبيّ الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ : هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لايشكرونه ولا يدعونه ، ثم قال : هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : بينكم وبينها خمسمائة ، ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا :

الله ورسوله أعلم ، قال : فإن فوق ذلك سمائين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سماوات ما بين كل سمائين كما بين السماء والأرض ، ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السمائين الحديث رواه الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم والبزار وقال الترمذي هذا حديث غريب .

الرقيع السماء،قال ابن الأثير فيه أنه قال لسعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة يعني سبع سماوات وكل سماء يقال لها رقيع والجمع أرقعة وقيل الرقيع اسم سماء الدنيا فأعطى كل سماء اسمها انتهى.

الحديث السابع عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال ما بين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد بإسناد صحيح على شرط مسلم.

ورواه أيضاً من وجه آخر ولفظه ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وبصر كل سماء خمسمائة،يعني غلظها وذكر بقيته بنحوه وقد رواه الطبراني في الكبير بنحو الرواية قال الهيمثي ورجاله رجال الصحيح،وهذا الحديث له حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي وإنما يقال عن توقيف.

الحديث الثامن عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ أتدرون ما هذا؟ قال قلنا السحاب، قال والمزن قلنا والمزن قال والعنان قال فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض والله تبارك وتعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء رواه الإمام أحمد والبغوي بهذا اللفظ .

وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في كتاب التوحيد والحاكم في مستدركه عن العباس رضي الله عنه قال كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جيداً قال ﷺ هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض قالوا لا ندري قال إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلان مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك هذا لفظ أبي داود ونحوه رواية الترمذي وابن ماجه ورواية ابن خزيمة والحاكم مختصرة وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

وهذه الرواية مخالفة لرواية الإمام والبغوي وما قبلها من

حديث عبدالله بن عمرو وأبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهم وما سيأتي من حديث أبي حديث سعيد رضي الله عنه في مقدارالمسافة بين السماء والأرض وقد جمع بين الروايتين غير واحد من العلماء منهم ابن خزيمة في كتاب التوحيد وابن القيم في تهذيب السنن والذهبي.

قال ابن القيم في تهذيب السنن والذهبي.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى وأما اختلاف مقدار المسافة في حديثي العباس وأبي هريرة رضي الله عنهما فهو مما يشهد بتصديق كل منهما للآخر فإن المسافة يختلف تقريرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها فسير البريد مثلاً يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات وهذا معلوم بالواقع فما تسيره الإبل سيراً قاصراً في عشرين يوماً يقطع البريد في ثلاثة فحيث قدر النبي ﷺ بالسبعين أراد به السير السريع سير البريد وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السير الذي يعرفونه سير الإبل والركاب فكل منهما يصدق الآخر ويشهد بصحته ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.

وقال الذهبي لا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ونيف وسبعون سنة على سير البريد لأنه يصح أن يقال بيننا وبين مصر عشرون يوماً باعتبار سير العادة وثلاثة أيام باعتبار سير البريد انتهى.

الحديث التاسع عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه والأحاديث الثلاثة قبله دليل على استقرار الأرض وثباتها وقد تقدم إيضاح ذلك في الكلام على حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وهو الحديث الخامس فليراجع الحديث العاشر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن الحديث رواه البخاري.

الحديث الحادي عشر عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

الحديث الثاني عشر عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني قال الهيثمي:ورجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد.

الحديث الثالث عشر عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس الحديث رواه الإمام أحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه وقال الهيثمي إسناد الطبراني جيد.

الحديث الرابع عشر عن المقدام رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال تدنو الشمس يوم القيامة حتى تكون من الناس قدر ميل ويزاد في حرها الحديث رواه الطبراني.

الحديث الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس الحديث رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذي.

الحديث السادس عشر عن سلمان رضي الله عنه قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس الحديث رواه الطبراني قال المنذري وإسناده صحيح وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح قلت وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي وإنما يقال عن توفيق وهذه الأحاديث السبعة وإن كانت من أخبار يوم القيامة ففيها دليل على أن الأرض قارة ثابتة لا تفارق موضعها ولو كانت الشمس هي القارة لكانت الأرض هي التي تدنى منها وهذا خلاف نصوص هذه الأحاديث والله أعلم.

فهذا ما يسره الله تعالى من الآيات والأحاديث الدالة على أن الشمس تسير وتدور على الأرض وأن الأرض قارة ثابتة بخلاف ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة من أن الشمس قارة ثابتة وأن الأرض تدور عليها وحقيقة قولهم تكذيب الأيات والأحاديث التي ذكرنا واطراحها بالكلية وذلك هو الضلال البعيد وقد قال الله تعالى ﴿ **ومن اظلم من افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾ . وقول أهل الهيئة الجديدة في الشمس والأرض دائر بين افتراء الكذب والتكذيب بالحق .

فصل

في ذكر الإجماع على وقوف الأرض وسكونها

ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفراييني التميمي وكان في آخر القرن الرابع من الهجرة وأول القرن الخامس في آخر كتابه الفرق بين الفرق جملة مما أجمع عليه أهل السنة قال فيها. وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها وأن حركتها إنما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الارض تهوي أبداً لأن الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحداره. واجمعوا على أن الأرض متناهية الأطراف من الجهات كلها وكذلك السماء متناهية قول من زعم من الدهرية أنه لا نهاية للأرض من أسفل ولا من اليمين واليسار ولا من خلف ولا من أمام إنما نهايتها من الجهة التي تلاقي الهواء من فوقها.

وزعموا أن السماء أيضاً متناهية من تحتها ولا نهاية لها من خمس جهات سوى جهة السفل وبطلان قولهم ظاهر من جهة عود الشمس إلى مشرقها كل يوم وقطعها جرم السماء وما فوق الأرض في يوم وليلة ولا يصح قطع ما لا نهاية من المسافة في الأمكنة في زمان متناه انتهى وقال القرطبي في تفسيره عند قول الله تعالى في سورة الرعد ﴿**وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً**﴾ الآية ما نصه.

والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض

وسكونها ومدها وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها انتهى،وهذا صريح في حكاية الإجماع من المسلمين وأهل الكتاب على ثبات الأرض واستقرارها.

وقد قرر ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح دار السعادة أن الأرض واقفة ساكنة وقرر ذلك غيره من أكابر العلماء ولا أعلم عن أحد من سلف الأمة وأئمتها خلافاً في ذلك وإنما خالف في ذلك أهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الأفرنج كونبريك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعها ومن نحا نحوهم من العصريين فهؤلاء هم المخالفون في ثبوت الأرض واستقرارها من المتأخرين وأمام المخالفون في ذلك من المتقدمين فهم الدهرية وفيثاغورس وأتباعه من اليونان ولا عبرة بخلف هؤلاء الذين أشرنا إليهم من المتقدمين المتأخرين ولا ينبغي للمسلم أن يغتر بأقوال أعداء الله ولا يصغي إلى تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ولا يعتد بأقوالهم الفاسدة وتوهماتهم الخاطئة. ولا ينبغي أن يصغي إلى أقوال الذين يقلدونهم ويحذون حذوهم من المسلمين

فصل

في ذكر أدلة عقلية على ثبات الأرض واستقرارها.

من ذلك ما هو شاهد من سير السحاب المسخر بين السماء والأرض فإنا نراه عندنا في البلاد النجدية في فصلي الشتاء والربيع وأكثر فصل الخريف يأتي في الغالب من المغرب ويذهب نحو المشرق وفي بعض الأحيان من جهة الشمال ويذهب نحو الجنوب ويأتي أيضاً من جهة الجنوب ويذهب نحو الشمال وربما أتى من ناحية المشرق وذهب نحو المغرب وفي فصل الصيف وهو الذي تسميه العامة القيظ ليس له اتجاه معتاد بل يأتي من المشرق ومن المغرب ومن الجنوب ومن الشمال وفي نواحي الحجاز يأتي في الغالب من جهة القطب الجنوبي ويذهب نحو القطب الشمالي وربما أتى من جهة المشرق وذهب نحو المغرب وبالعكس وربما أتى من جهة الجنوب وذهب نحو الشمال وبالعكس ، وسيره من جميع الجهات متقارب لا يختلف بعضه عن بعض بالسرعة إلّا بسبب ريح شديد تسوقه ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لاختلف سير السحاب بسبب سير الأرض ولكان اتجاهه دائماً إلى جهة المغرب بعكس سير الأرض ولم يذهب إلى جهة المشرق أبدا لأنّ الأرض تفوته بسرعة سيرها فقد زعم المتأخرون من أهل الهيئة الجديدة أنها تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلومتر وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من

خمسمائة ألف فرسخ ولما كان سير السحاب من جميع الجهات مقاربا بعضه بعضاً دل ذلك على أن الأرض قارة ساكنة .

ومن ذلك ما يسره الله تعالى في زماننا من وجود المراكب الجوية التي تخترق الهواء في جميع أرجاء الأرض فإن سيرها من المشرق إلى المغرب مثل سيرها من المغرب إلى المشرق وكذلك سيرها من الجنوب إلى الشمال مثل سيرها من الشمال إلى الجنوب كل ذلك لا يختلف ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لكان من في المشرق إذا أراد المغرب رفع طائرته في الهواء ثم أمسكها وقتاً يسيراً حتى تصل إليه أقطار المغرب فينزل فيها وأما من في المغرب فلا يمكنه أن يسير إلى المشرق في مركب جوي أبداً لأنه إذا رفع طائرته عن الأرض فاتته الأرض بسرعة سيرها هذا على حد زعمهم وكذلك الذين في الجنوب والشمال لا بد أن تفوتهم الأرض بسرعة سيرها فلا يهتدون إلى موضع قصدوه في مراكبهم الجوية .

ولما كانت هذه التقديرات منتفية وكان السير الجو من الأقطار المتباينة مقارباً بعضه بعضاً دل ذلك على أن الأرض قارة ساكنة ومن ذلك ما هو شاهد من نهوض الطير من أوكارها أو غيرها مما هي واقعة عليه وطيرانها في الهواء وذهابها يميناً وشمالاً ورجوعها إلى أوكارها أو غيرها من الأشجار والمواضع التي تقع عليها كثيراً وهذا يدل على ثبات الأرض واستقرارها ولو كانت تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما رجعت الطيور إلى أماكنها من الأرض لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها.

ومثل ذلك الطائرات فإنها تطير من المطارات وتذهب نحو المشرق والمغرب والجنوب والشمال وربما عرض لها عارض يمنعها من

مواصلة السير إلى المواضع التي يقصدها أهلها فترجع إلى المواضع التي طارت منها بعد ما تنأى عنها بمسافة بعيدة وهذا يدل على ثبات الأرض واستقرارها ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديرة لما رجعت الطائرات إلى مطاراتها أبداً لأن الأرض تفوتها بسرعة سيرها.

ومن ذلك ما هو مشاهد من رمي الصيد والأهداف اصابتها ولو كانت الأرض تسير كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة لما أصاب الرامي صيداً ولا هدفاً ولا سيما إذا كان الصيد أو الهدف بعيداً عنه لأنه إذا أطلق السهم أو الرصاص فاتته الأرض بسرعة سيرها فلا يصيب السهم والرصاص ما وجهه الرامي نحوه.

ولما كانت إصابة الصيد والأهداف تقع من كثير من الرماة دل ذلك على أن الأرض قارة ساكنة.

فإن قيل إن الهواء تابع للأرض يسير بسيرها فلا تفوت الأرض إذا شيئاً مما يكون في الهواء فوقها.

فالجواب أن يقال هذا من أبطل الباطل لأن الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للأرض قال الله تعالى في سورة آلم، تنزيل السجدة ﴿**الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾ الآية وقال تعالى في سورة «ق» : ﴿**ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام**﴾ الآية وقال تعالى في سورة الدخان ﴿**وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ وقال تعالى في سورة الأنبياء ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ وقال تعالى في سورة الأنبياء ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ وقال تعالى في سورة ص ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً**﴾ الآية وقال

تعالى في سورة الحجر ﴿ **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينها إلا بالحق** ﴾ الآية وقال تعالى في سورة الأحقاف : ﴿ **ما خلقنا السماوات والأرض وما بنيهما إلاّ بالحق وأجل مسمى** ﴾ الآية وقال تعالى في سورة ص ﴿ **أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما** ﴾ الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للأرض .

وكما أن كلاً من السماء والأرض مستقلة بنفسها وليست تابعة للأخرى فكذلك الهواء مستقل بنفسه وليس تابعاً للسماء ولا للأرض ولا يتصور أن يكون الهواء تابعاً لغيره إلا فيما يكون محجوزاً بالسقوف والجدر ونحوها كالهواء الذي يكون في داخل الطائرات والسيارات والمراكب ونحوها فإنه يسير بسيرها كما هو معلوم عند كل عاقل وما على وجه الأرض من الهواء شبيه بما على ظهور الطائرات من الهواء فكما أن ما على ظهور الطائرات من الهواء لا يتبعها ولا يسير بسيرها فكذلك ما على ظهر الأرض من الهواء لا يكون تابعاً لها والله أعلم .

وأيضاً فلو كان الهواء تابعاً للأرض وسائراً بالسرعة الهائلة التي زعموها في سير الأرض كما ذكرنا قولهم في ذلك قريباً فإنه لا يستطيع الطير ولا الطائرات أن تسبح فيه وتذهب شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ثم ترجع إلى مواضعها من الأرض، ولما كان الطير يطير إلى حيث شاء من الجهات ثم يرجع إلى موضعه الذي طار منه وكانت الطائرات تسير على خطوط مستقيمة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ثم ترجع إلى المواضع التي طارت منها دل ذلك على أن الهواء ساكن لا يسير ولا يتحرك إلاّ أن تحركه ريح تهب فيه .

الوجه الثاني قوله تدور حول نفسها كلام باطل يحتاج إلى دليل وقد تقدم رده في مواضع.

الوجه الثالث قوله ثم تدور مع هذا حول الشمس إلخ كلامه تقدم رده في عدة مواضع.

سورة الحاقة

الموضع السادس والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٧٩ على قوله تعالى : ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾ .

ونحن لا ندري على وجه التحقيق ما السماء المقصودة بهذا اللفظ .

أقول قد دل القرآن على المقصود وأنه السماوات السبع كما قال تعالى ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً ﴾ وقال تعالى ﴿ وفتحت السماء فكانت أبواباً ﴾ وقال تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ وقال تعالى ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ والله أعلم .

الموضع السابع والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٨٠ على قوله تعالى ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ قال لاندري نحن ما العرش .

أقول هذا من قلة علمه وإلا فالعرش لا يحتاج إلى أن يعرف به لأنه معلوم أنه عرش الرحمن الذي هو مستوٍ عليه جل وعلا وقد بسط الكلام على إثبات العرش والتنبيه عليه في الكلام على قوله تعالى ﴿قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ﴾ والله أعلم .

الموضع الثامن والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٨١ على قوله تعالى﴿فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانيـة﴾ثم يعلن على رؤوس الأشهـاد ما أعـد لهذا النـاجي من النعيم الـذي تبـدو فيـه هنـا ألـوان من النعيم الحسي تناسب حال المخاطبين إذ ذاك وهم حديثـو عهد بجـاهلية ولم يسر من آمن منهم شوطاً طويلاً في الإيمان ينطبـع بـه حسه ويعـرف به من النعيم ما هو أرق وأعلى من كل متاع.

أقـول لقد هضم من قـدر هؤلاء الصحابـة السـادة وهضم من قدر هذا النعيم الجليل الذي نوه الله به وقد تقدم الرد على مثـل هذا الكلام عند التنبيه على قـوله تعـالى﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾وأن هذا النعيم إذا حصل حصل ما هو أعظم منه من رضوان الله ورؤيته الذي هو أعلى نعيم أهل الجنـة وأن لهذا ليس بخـارج عن اسم الجنة والله أعلم.

سورة المعارج

الموضع التاسع والخمسون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٩٦ على قوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾.

قال ولم نكلف أن ندري طبيعة هذه المهام وكيف يصعد الملائكة ولا إلى أين يصعدون الخ .

أقول قوله ولا إلى أين يصعدون ليس كما قال بل هو معلوم وهو أنهم يصعدون إلى الله تعالى وقد استدل العلماء بهذه الآية وما شابهها على علو الله على خلقه .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى وقوله تعالى ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ يقول تعالى ذكره تصعد الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام إليه يعني إلى الله جل وعز والهاء في قوله إليه عائدة على اسم الله اهـ. وهذا واضح ولكن هذا شأن أهل البدع المعطلين لعلو الله على خلقه والله أعلم .

الموضع الستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٦٩٧ على قوله تعالى : ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ .

قال وهذه النصوص جديرة بأن يتأملها المشتغلون بالعلوم الطبيعية والفلكية فمن المرجح عندهم أن الأجرام السماوية مؤلفة من معاون منصهره إلى الدرجة الغازية وهي بعد درجة الإنصهار والسيولة بمراحل فلعلها في يوم القيامة ستنطفىء كما قال ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ وستبرد حتى تصير معادن سائلة وبهذا تتغير طبيعتها الحالية وهي الطبيعة الغازية .

أقول هذا يحتاج إلى دليل ومن أين لهم ذلك أوصلوا إلى السماء فأدركوا ذلك أقرأوه في كتاب منزل أوسنة مأثورة إنما هو الظن والتخمين والتخرص والقول بلا علم وقد تقدم بيان كيفية خلق السماوات في غير موضع والله أعلم .

سورة الجن

الموضع الحادي والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٧٣٠ إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره وفي التصور الإسلامي وتكوينه أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن ولا ينفي شيئاً يشتبه القرآن ولا يؤوله ولا يثبت شيئاً ينفيه القرآن أو يبطله وما عدا المثبت والمنفي في القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته.

أقول قوله ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن كلام باطل لأن مفهومه يقتضي أن لا يرجع في ذلك إلى السنة وهذا باطل فإن السنة تفسر القرآن وتخصص عمومه وتقيد مطلقه واختلف في نسخها له وهي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه والتعامل إليه فحكمها حكم القرآن في ثبوت العلم واليقين والإعتقاد والعمل قال تعالى : **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾** .

وقوله وما عدا المثبت والمنفي في القرآن فله أن يقوْل فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته كلام باطل مردود ساقط مضمونه أن السنة ليست كالقرآن في هذا الباب وهذا باطل فإن السنة هي الأصل الثاني

كما تقدم ويثبت بها ما يثبت بالقرآن ويؤمن بها كما يؤمن بـالقرآن كـما قال تعالى ﴿ واذكرن من ما يتلى في بيوتكن عن آيات الله والحكمة ﴾ وقال تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وثبت في السنن عن المقدام بن معد يكرب .

قال قال رسول الله ﷺ « ألا وإني أوتيت القرآن ومثله ومعه ألا يوشك رجل شبعان متكئاً على أريكتـه يقول عليكم بهـذا القرآن فـما وجـدتم من حلال فـأحلوه وما وجـدتم فيه من حـرام فحرموه » قـال الترمذي حديث حسن، وعن العرباض بن سارية قال قـال رسول الله ﷺ إنـه من يعش منكم فسيرى اختـلافـاً كثيـراً فعليكم بسنتي وسنـة الخلفـاء الراشـدين المهديين من بعـدي تمسكـوا بهـا وعضـوا عليهـا بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمـور الحديث رواه الترمذي وغـيره وقال حـديث حسن صحيـح وقـال الأوزاعي عن حسـان بن عـطيـة كـان جبريل ينـزل بالقـرآن والسنة عـلى النبي ﷺ ويعلمه إيـاها كـما يعلمه القـرآن رواه محمد بـن نصر في السنـة واللالكـائي وغـيرهمـا بـإسنـاد صحيح .

قال شيخ الإسلام ابن تيمة في العقيدة الواسطية فـالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصـف الرسـول ﷺ به ربـه عز وجل من الأحاديـث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبـول وجب الإيمان بها مثل قوله ﷺ ينزل ربنا إلى سماء الـدنيا كـل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيـه من يستغفرني فاغفر له »متفق عليه، وساق أحاديث كثيرة وقال الموفق في لمعه الإعتقاد موصوف بما وصـف به نفسه في كتابه العزيـز وعلى لسـان

نبيه الكريم انتهى ومفهوم هذا الكلام الذي قاله أن ما وصف به الرسول ﷺفللإنسان أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وهذا هو الموافق لقول أهل البدع الذين يؤلون أحاديث الصفات فيقولون في قوله ينزل ربنا أي أمره أو ملائكته قالوا لأن النزول لا يكون إلا للأجسام فالعقل يقتضي تأويله وقالوا في حديث يضحك الله إلى رجلين أي تضحك ملائكته لأن الضحك إنما يكون لاستخفاف الروح وما أشبه هذا الهذيان فهذا الذي أدى إليه اعتمادهم على عقولهم وأما أهل للسنة فلا يعارضون ذلك بعقولهم بل يؤمنون به على ما يليق بجلال الله عظمته كما يؤمنون بما ورد في القرآن ولا يفرقون بينهما.

وقوله في الحاشية بعد كلامه ص ٣٧٣١ وما أبريء نفسي أنني فيما سبق من مؤلفاتي وفي الأجزاء الأول من هذا الظلال قد انسقت إلى شيء من هذا وأرجو أن أتداركه في الطبعة الثانية إذا وفق الله وما أقرره هنا هو ما اعتقده الحق بهداية من الله.

أقول هذا يفهم منه أنه رجع عما قرره من التأويلات الباطلة ويدل عليه قوله في أول الكلام إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره وفي التصور الإسلامي وتكوينه أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق هذا الوجود، ولكن آخر كلامه ينقض أوله إلا إن أراد أن السنة داخلة في القرآن فمحتمل ولكن قوله في كلامه ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن يبعد هذا الإحتمال لكونه أولاً ذكرهما معاً ثم خص القرآن فدل على أنه فرق بينهما والله أعلم بحاله.

سورة القيامة

الموضع الثاني والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٧٧١ ﴿ وجوه يومئذ ناضرة .. إلى ربها ناظرة ﴾ .

فأما كيف تنظر وبأي جارحة تنظر وبأي وسيلة تنظر.. فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسه طائف من الفرح الذي يطلقه النص القرآني في قلب المؤمن، والسعادة التي يفيضها على الروح، والتشوق والتطلع والإنطلاق.

أقول قوله فذلك حديث لا يخطر على قلب يمسه طائف إلخ خلاف ما قاله النبي ﷺ حيث قال مما رواه عنه جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه حيث قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته الحديث رواه البخاري ١٣ : ٤١٩ فتح الباري ومسلم.

وزاد البخاري إنكم سترون ربكم عيانا. ولا يشك في ذلك أو يتردد فيه إلا مبتدع مخالف لأهل السنة والجماعة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة

عيانا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى. وقد ذكر ابن القيم وغيره أن أحاديث الرؤية متواترة والله أعلم.

سورة النبأ

الموضع الثالث والستون بعد المائة

﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾والسبع الشداد التي بناها الله فوق أهل الأرض هي السماوات السبع. وهي الطرائق السبع في موضع آخر. والمقصود بما على وجه التحديد يعلمه الله. فقد تكون سبع مجموعات من المجرات ـ وهي مجموعات من النجوم قد تبلغ الواحدة منها مائة مليون نجم ـ وتكون السبع المجرات هذه هي التي لها علاقة بأرضنا أو بمجموعتنا الشمسية. وقد تكون غير هذه وتلك مما يعلمه الله من تركيب هذا الكون. الذي لا يعلم الإنسان عنه إلاّ القليل. إنما نشير هذه الآية إلى أن هذه السبع الشداد متينة التكوين قوية البناء. مشدودة بقوة تمنعها من التفكك والانثناء. وهو ما نراه ونعلمه من طبيعة الأفلاك والاجرام فيما نطلق عليه لفظ السماء فيدركه كل إنسان. كما تشير إلى أن بناء هذه السبع الشداد متناسق مع عالم الأرض والإنسان.

أقول الكلام عليه من وجوه الوجه الأول قوله فقد تكون سبع مجموعات في المجرات وهي مجموعات من النجوم كلام باطل والسماوات ليست هي النجوم لأن الله أخبر أنه زين السما الدنيا بالنجوم، كما قال تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين﴾وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرةقال قال رسول

الله ﷺ أول زمرة يدخلون الجنة على صـورة القمر ليلة البـدر والذين يلونهم عـلى أشد كـوكب دري في السماء إضـاءة. فدل هـذا الحديث على أن الكواكب في السماء وليست هي السماء.

الوجه الثاني قوله قد تبلغ الواحدة منها مائـة مليون نجم كـلام باطل بل السماوات بعضهم فـوق بعض وأما النجـوم فهي زينة لهـذه السماء الدنيا.

الوجه الثـالث قولـه وتكون السبـع المجرات هـذه هي التي لها علاقة بأرضنا هذه دعوى باطلة وشك وحيرة.

الوجه الرابع قوله مجموعتنا الشمسيـة كلام بـاطل بـل الشمس واحـدة وليست مجموعـة كما هـو مطرد في القـرآن والسنة وأجمـع عليه العقلاء قال تعالى **﴿إذا الشمس كورت﴾** يقـل الشموس وقـال النبي ﷺ إذا اقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هـاهنا وغـربت الشمس فقد أفطر الصائم متفق عليه من حديث عمر ولم يقـل الشموس والله أعلم.

سورة النازعات

الموضع الرابع، والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس من ٣٨١١ أول سورة النازعات قال يسوقه في إيقاع موسيقي ثم قال بعد ذلك فيهدأ الإيقاع الموسيقي اهـ.

أقول هذا الكلام باطل مردود وقد تقدم رده في الكلام على سورة النجم والله أعلم.

سورة عبس

الموضع الخامس والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٢١ أول سورة عبس هذه السورة موحية الإيقاعات الشعورية والموسيقية على السواء. اهـ.

أقول نقدم الكلام عليه والله أعلم.

سورة التكوير

الموضع السادس والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٣٨ على قوله ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ .

إن تكوير الشمس قد يعنى برودتها . وانطفاء شعلتها . وانكماش السنتها الملتهبة التي تمتد من جوانبها كلها الآن إلى ألوف الأميال حولها في الفضاء . كما يبتدى هذا من المراصد في وقت الكسوف . واستحالتها من الغازية المنطلقة بتأثير الحرارة الشديد التي تبلغ ١٢٠٠٠ درجة والتي تحول جميع المواد التي تتكون منها الشمس إلى غازات منطلقة ملتهبة . استحالتها من هذه الحالة إلى حالة تجمد كقشرة الأرض وتكون لا ألسنة له ولا امتداد قد يكون هذا . وقد يكون غيره أما كيف يقع والعوامل التي تسبب وقوعه فعلم ذلك عند الله . اهـ .

الكلام على هذا من وجوه .

الوجه الأول قوله إن تكوير الشمس قد يعني برودتها وانطفاء شعلتها وانكماش السنتها الملتهبة الخ أقول قال ابن جرير قوله إذا الشمس كورت إنما معناه جمع بعضها إلى بعض ثم لفت ورمي بها وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها .

الوجه الثاني قوله واستحالها في الغازية المنطلقة بتأثير الحرارة التي تبلغ إلخ هذا لا دليل عليه بل تخرص وظن.

الوجه الثالث قوله استحالتها من هذه الحالة إلى حالة تجمد كقشرة الأرض إلخ هذا مجرد ظن لا يستند إلى برهان وقد ورد في حديث أبي هريرة الذي رواه البزار أن رسول الله ﷺ قال إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة وأصله في البخاري والله أعلم.

الموضع السابع والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٣٨ على قوله : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ .

وانكدار النجوم قد يكون معناه انتشارها من هذا النظام الذي يربطها . وانطفاء شعلتها وإظلام ضوئها . والله أعلم ما هي النجوم التي يصيبها هذا الحادث . وهل هي طائفة من النجوم القريبة منا . مجموعتنا الشمسية مثلاً . أو مجرتنا هذه التي تبلغ مئات الملايين من النجوم . أم هي النجوم جميعها والتي لا يعلم عددها وموضعها إلاّ الله . فوراء ما نرى منها بمراصدنا مجرات وفضاءات لها لا نعرف لها عدداً ولا نهاية . فهناك نجوم سيصيبها الإنكدار كما يقرر هذا الخبر الصادق الذي لا يعلم حقيقته إلاّ الله .

أقول الكلام على هذا من وجوه

١ ـ الوجه الأول قوله وانكدار النجوم قد يكون انتشارها كأنه شاك في ذلك والذي ينبغي له أن يجزم بذلك كما قاله المحققون من المفسرين كابن جرير وابن كثير والقرطبي والبغوي وغيرهم .

٢ ـ الوجه الثاني قوله وما هي هذه النجوم التي يصيبها هذا الحادث جوابه أن يقال له هذا عام في جميع النجوم لأن اللفظ عام فقصره على بعض أفراده لا يصح .

٣ ـ الوجه الثالث قوله فوراء ما نرى منها بمراصد مجرات وفضاءات إن كان قصده الفضاء الذي بيننا وبين السماء فصحيح وإن كان قصده أن الفضاء لا يتناهى فهو باطل لأنه يتضمن إنكار وجود السماوات حقيقة وذلك في الحقيقة كفر لأنه رد للقرآن والسنة في اثبات السماوات .

الوجه الرابع قوله الذي لا يعلم حقيقته إلّا الله ليس بصحيح بل عرف المفسرون ذلك وبينوه في كتب التفاسير فراجعها تجد ذلك واضحاً وأنهم لم يترددوا في ذلك وقد صح عن مجاهد أنه قال عرضت المصحف على ابن عباس أقفه عند كل آية وأسأله عنها والله أعلم .

الموضع الثامن والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٤٠ على قوله تعالى ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ .

وأول ما يتبادر إلى الذهن من كلمة السماء هو هذا الغطاء المرفوع فوق الرؤوس وكشطها إزالتها فأما كيف يقع هذا وكيف يكون فلا سبيل إلى الجزم بشيء أقول قد تقدم ما يوضح هذا وهو أنها تشقق وتطوى وتفتح كما قال تعالى : ﴿ ويوم تشقق السماء ﴾ بالغمام وقال تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وفتحت السماء فكانت أبواباً ﴾ والله أعلم .

سورة الإنفطار

الموضع التاسع والستون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٤٥ أول سورة الإنفطار وكذلـك إيقاع السورة الموسيقي أقول تقدم التنبيه على هذا الكلام والله أعلم.

سورة البروج

الموضع السبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٧٢ على قوله تعالى : ﴿ ذو العرش المجيد فعال لما يريد ﴾ وهي صفات تصور الهيمنة المطلقة والقدرة المطلقة والإرادة المطلقة .

أقول هذا من لوازم هذه الصفات وليست هو معناها قال ابن كثير قوله﴿ذو العرش﴾أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق. فلا بد من اثبات العرش وعلو الله عليه على ما يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى والله أعلم.

سورة الغاشية

الموضع الحادي والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٨٩٩ على قوله تعالى : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت** ﴾ .

قال إن المشهد الكلي يضم مشهد السماء المرفوعة والأرض المبسوطة وفي هذا المدى المتطاول تبرز الجبال منصوبة السنان لاراسية ولا ملقاة .

أقول قوله لا راسية باطل مردود مخالف للقرآن والسنة قال ابن كثير قوله﴿**وإلى الجبال كيف نصبت**﴾أي جعلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن . اهـ .

وقال تعالى ﴿ **والجبال أرساها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾ . والله أعلم .

سورة الفجر

الموضع الثاني والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص٣٩٠٦ ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً. وجيء يومئذ بجهنم﴾ فأما مجيء ربك والملائكة صفاً صفاً فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض، ولكنا نحس وراء التعبير بالجلال والهول. كذلك المجيء بجهنم. نأخذ منه قربها منهم وقرب المعذبين منها وكفى. فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيب الله المكنون ليومه المعلوم.

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول إن كان مراده أن هذا حقيقة ولكن لا ندرك كيفيته فهذا حق وإن كان مراده أن ذلك ليس حقيقة ولكنه مجاز عن الجلال والهول فهذا قول المعطلة وهو باطل من وجوه كثيرة بسطها العلامة ابن القيم انظر مختصر الصواعق الطبعة المصرية ٣٨٢ إلى ٣٨٥ ومجموع الفتاوى ٦ : ١٦٤، ١٦٥.

الوجه الثاني كذلك المجيء بجهنم إلخ كلام باطل فقد دلت السنة على ذلك كما رواه مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ١٧ / ١٧٩ شرح مسلم النووي.

الوجه الثالث أن هذا الكلام قول بلا علم وكفى بذلـك جهلاً وفضيحة فلو أنه لما لم يلم بشيء من ذلك سكت لكان خيراً له وأسلم ولكن قال ما قال والله أعلم.

سورة الشمس

الموضع الثالث والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٩٠٨ أول سورة الشمس هذه السورة القصيرة ذات القافية الواحدة والإيقاع الموسيقى الموحد.

أقول تقدم الكلام على قوله الموسيقى في سورة النجم والله أعلم.

سورة العلق

الموضع الخامس والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٩٣٦ أول سورة العلق، حقيقته أن الله جل جلاله العظيم الجبار القهار المتكبر مالك الملك كله قد تكرم في عليائه فالتفت إلى هذه الخليقة. وقال بعد ذلك ص ٣٩٣٧ أن يذكره الله تعالى ويلتفت إليه.

أقول قوله فالتفت خلاف المعروف في الكتاب والسنة فإن المطرد في ذلك لفظ نظر قال تعالى﴿**ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم**﴾وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الحديث رواه مسلم والله أعلم.

سورة العاديات

الموضع الخامس والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٩٥٧) أول سورة العاديات والإيقاع الموسيقى فيه خشونة ودمدمة وفرقعة تناسب الجو الصاخب. اهـ.

أقول تقدم أنـه الموسيقى لا تعـرفه العـرب وإنما هـو من علوم الفلاسفة وهو شعار أهل الفسق فلا يشبه القرآن في حال من الأحوال والله أعلم.

سورة القارعة

الموضع السادس والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٣٩٦١ على قوله تعالى : ﴿ **فمن ثقلت موازينه** ﴾ الآيتين .

وثقل الموازين وخفتها تفيدنا قيماً لها عند الله اعتبار إلخ .

أقول تقدم الكلام على هذا أول سورة الأعراف فلا حاجة إلى إعادته ها هنا والله أعلم.

الموضع السابع والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٤٠٠٢ على قوله تعالى﴿قل هو الله أحد﴾. إنها أحدية الوجود فليس هناك حقيقة إلاّ حقيقته وليس هناك وجود حقيقي إلاّ وجوده وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية وهي من ثم أحدية الفاعلية فليس سواه فاعلاً لشيء أو فاعلاً في شيء ، في هذا الوجود أصلاً ، وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضاً فإذا استقر هذا التفسير ووضح هذا التصور خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المنفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية خلص من التعلق بشيء من أشياء هذا الوجود إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء من الأشياء أصلاً فلا حقيقة لوجود إلاّ ذلك الوجود الإلهي ،ولا حقيقة لفاعلية إلاّ فاعلية الإرادة الإلهية ،فعلام يتعلق بما لا حقيقة لوجوده ولا لفاعليته وحين يخلص القلب من الشعور بغير الحقيقة الواحدة ومن التعلق بغير هذه الحقيقة فعندئذ يتحرر من جميع القيود وينطلق من كل الأوهاق يتحرر من الرغبة وهي أصل قيود كثيرة ويتحرر من الرهبة وهي أصل قيود كثيرة وفيم يرغب وهو لا يفقد شيئاً متى وجد الله؟ومن ذا يرهب ولا وجود لفاعلية إلاّ لله ،ومتى استقر هذا التصور الذي لا يرى في الوجود إلاّ حقيقة الله فستصحبه رؤية هذه الحقيقة في كل وجود آخر انبثق عنها وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في

كل شيء يراه، ووراءها الدرجة التي لا يـرى فيها شيئـاً في الكون إلاّ الله لأنه لا حقيقة هناك يراها إلاّ حقيقة الله. كـذلك سيصحبـه نفي فاعلية الأسباب، ورد كل شيء وكـل حدث ولـك حركـة إلى السبب الأول الـذي منه صدرت، وبـه تـأثـرت وهـذه هي الحقيقـة التي عني القرآن عنايـة كبيرة بتقـريرهـا في التصور الإيماني، ومن ثم كان ينحى الأسباب الظاهرة دائماً ويصـل الأمور مبـاشرة بمشيئـة الله ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ﴿وما النصر إلاّ من عند الله﴾ ﴿وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله﴾ وغيرها كثير وبتنحية الأسباب الظاهرة كلها ورد الأمر إلى مشيئة الله وحدها تسكب في القلب الطمأنينة ويعـرف المتجه الـوحيد الـذي يطلب عنـده ما يـرغب،ويتقي عنـده مـا يرهب، ويسكن تجـاه الفواعل والمؤثرات والأسباب الـظاهرة التي لا حقيقـة لها ولا وجـود. وهـذه هي مدارج الـطريق التي حاولهـا المتصوفـة فجذبتهم إلى بعيد! ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقـة وهم يكابدون الحياة الواقعية بكل خصائصها ويزاولون الحياة البشرية والخلافة الأرضية بكل مقوماتها شاعرين مع هذا أن لا حقيقة إلاّ الله وأن لا وجود إلاّ وجوده وأن لا فاعلية إلاّ فاعلية ولا يريد طريقاً غـير هذا الطريق.

الكلام على هذا من وجوه.

الوجه الأول قوله إنها أحدية الوجود إلى قـوله إن لم يخلص من الشعور بوجود شيء. هذا الـذي أشار إليـه هو تحقيق المتصـوفة وهـو حال ناقص مخالف لما عليه الصحابة والتابعون وهذا هـو الفناء الـذي يوجد في كلام بعض المتصوفـة قال شيـخ الإسلام رحمـه الله تعالى في مجموع الفتاوى ١٠: ٣٣٧ فصل،الفناء الذي يوجد في كلام الصـوفية

يفسر بثلاثة أمور أحدها فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح إلى أن قال الأمر الثاني فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فذاك فناء عن الإرادة وهذا فناء عن الشهادة ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه فهذا الفناء فيه نقص فإن شهود الحقائق على ما هي عليه وهو شهود الرب مدبراً لعباده آمراً بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك ولهذا كان الصحابة أكمل شهوداً من أن ينقصهم شهود للحق مجملاً عن شهوده مفصلاً ولكن عرض كثير من هذا لكثير المتأخرين من هذه الأمة إلى أن قال.

الثالث فناء عن وجود السوى بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني والتلمساني والقونوي ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات ألخ كلامه باختصار.

الوجه الثاني قوله وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء يراه ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلّا الله لأنه لاحقيقة يراها إلّا حقيقةالله: اهـ. أقول قوله ووراءها الدرجةالتي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلّا الله. هذا قول أهل الاتحاد الملاحدة الذين هم أكفر من اليهود والنصارى كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء قال شيخ الإسلام الثالث فناء عن وجود السوى بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره وهذا القول والحال للاتحادية الزنادقة من المتأخرين كالبلياني

والتلمساني والقونوي ونحوهم الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات وأنه لا وجود لغيره لا بمعنى أن قيام الأشياء به ووجودها به كما قال النبي ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكما قيل في قوله : ﴿ كل شيء هالك إلاّ وجهه ﴾ فإنهم لو أرادوا ذلك لكان ذلك هو الشهود الصحيح لكنهم يريدون أنه هو عين الموجودات فهذا كفر وضلال اهـ. فإن قيل لعله أراد بقوله لايرى في الكون إلاّ الله أي فاعلية الله قيل قوله قبل وهذه درجة يرى فيها القلب يد الله في كل شيء فإنه يريد أن كل شيء قد أوجده الله وكل شيء بتصريف الله ثم ذكر ما ذكر بعد ذلك .

الوجه الثالث قوله وهذه هي مدارج الطريق التي حاولها المتصوفة فجذبتهم إلى بعيد ذلك أن الإسلام يريد من الناس أن يسلكوا الطريق إلى هذه الحقيقة وهم يكابدون الحياة الواقعية إلخ أقول هذا ينقض ما تقدم من قوله ووراءها الدرجة التي لا يرى فيها شيئاً في الكون إلاّ الله وهذا هو الفناء الذي يشير إليه الصوفية وتقدم بيانه في الوجه الأول ولعله لم يقصد ما يفهمه كلامه من قول الاتحادية ونحن إنما قصدنا التنبيه على كلامه لئلا يغتربه من لا يفهمه وأما هو فله كلام صريح في الرد على الاتحادية كما قال في كتاب خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص ١٥٥، ١٥٦ : «إن الاسلام يبدأ فيفصل فصلاً تاماً كاملاً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وبين مقام الألوهية ومقام العبودية وبين خصائص الألوهية وخصائص العبودية بحيث لا تقوم شبهة أو غبش حول هذا الفصل الحاسم

الجازم. ﴿الله ليس كمثل شيء﴾ فلا يشاركه أحد في ماهية أو حقيقة. والله هو الأول والآخر والظاهر والباطن فلا يشاركه أحد في وجوده وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فلا يشاركه أحد في بقاء، والله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فلا يشاركه أحد في سلطان، والله خالق كل شيء فلا يشاركه أحد في خلق. والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فلا يشاركه أحد في رزق، والله يعلم وأنتم لا تعلمون فلا يشاركه أحد في علم، ولم يكن له كفواً أحد فلا يشاركه أحد في مقام. أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فلا يشاركه أحد في التشريع للناس، وهكذا في كل خاصية من خصائص الألوهية والإنسان عبد لله ككل مخلوق في هذا الوجود عبد لا يشارك الله في حقيقة ولا خاصية وليس كما تقول الكنيسة عن المسيح عليه السلام إن له طبيعة لاهوتية صافية أو لاهوتية ناسوتية على اختلاف المذاهب والتصورات». إلخ. والله أعلم.

الموضع الثامن والسبعون بعد المائة

﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخر السورة ٦ : ٤٠٠٣

ومنهج يربط مع هذا بين القلب البشري وبين كل موجود برباط الحب والأنس والتعاطف والتجاوب فليس معنى الخلاص من قيودها وكراهيتها والنفور منها والهروب من مزاولتها . . فكلها خارجة من يد الله ، وكلها تستمد وجودها من وجوده . وكلها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة . فكلها إذن حبيب ، إذ كلها هدية من الحبيب .

الكلام على هذا من وجوه

الوجه الأول قوله يربط مع هذا القلب البشري وبين كل موجود برباط الحب والأنس . كلام باطل بل كفر لمصادمته الكتاب والسنة وإجماع العلماء أما مصادمته للكتاب فلأن الله نهى الركون إلى الكفار وموادتهم ومداهنتهم وأوجب عداوتهم وبغضهم قال تعالى ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ قال ابن جرير لا تميلوا وقال تعالى ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ الآية فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب وأن هذا منافٍ للإيمان مضادٍ له يجتمع هو والإيمان إلّا كما يجتمع الماء والنار انتهى من مجموعة التوحيد ص ٣٥٢ وقال تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة من إبراهيم والذين معه إذا قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما

تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾الآية قال ابن كثير يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصادمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم. والذين معه أي وأتباعه الذين آمنوا معه إذ قالوا لقومهم أنا برءاء منكم أي تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أي بدينكم وطريقكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده،أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له،وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد انتهى فكيف يتصور وجود العداوة والبغضاء مع الحب والأنس وهما ضدان وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ والآيات في هذا كثيرة وأما السنة فروى أحمد عن البراء بن عازب « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» وعن ابن مسعود مرفوعاً «المرء مع من أحب» متفق عليه وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً « لايحب رجل قوماً إلّا حشر معهم » رواه الطبراني بإسناد جيد قاله ابن المنذر ذكره في مجموعة التوحيد ص ١٦٥ .

الوجه الثاني قوله والتعاطف هذا باطل قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وقال تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ أي أهل شفقة ورحمة على أهل دينهم وغلظة وشدة على الكافرين .

الوجه الثالث قوله والمجاوبة إن أراد أنهم يدعون إلى الإسلام

ويوفى لهم بعهدهم إذا عوهدوا فهذا صحيح وإن أراد غير ذلك فهو باطل.

الوجه الرابع قوله فليس معنى الخلاص من قيودها هو كراهيتها والنفور منها كلام باطل مخالف لما أمر الله به مناقض لدين الإسلام فإن الله حرم موالاة الكافرين وموادتهم كما قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق** ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ الآيات ونفى الإيمان عمن واد أباه وأخاه وابنه إذا كانوا محادين لله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ الآية. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قيل له إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة حافظاً كاتباً فلو اتخذته كاتباً قال قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين، رواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم باسناد حسن وروى ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عتبة أنه قال ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لايشعر ذكره ابن كثير في تفسيره ٢ ٦٨٠.

الوجه الخامس أن كونها صادرة عن يد الله عز وجل لا يستلزم ألا تكون مكروهة لنا لأننا مأمورون في باب الكراهة والمحبة بالنظر إلى الشرع لا إلى الخلق والقدر قال شيخ الإسلام في الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق

الأمرية الدينية الإيمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية فإن الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر كما قال تعالى ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه لا خالق غير ولا رب سواه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن إلى أن قال وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله أمر بالتوحيد والاخلاص ونهى عن الاشراك بالله إلخ كلامه وأيضا فهذا يستلزم التسوية بين أولياء الله وأعدائه لأنهم كلهم خلق لله وهذا باطل كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء الآية** وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين** ﴾ .

الوجه السادس قوله وكلها تفيض عليها أنوار هذه الحقيقة هذا ليس بصحيح لأنه يقتضي أن الشياطين والكفار تفيض عليهم أنوار هذه الحقيقة وهذا باطل وأنى لهم بذلك والله تعالى يقول ﴿ **والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾ وقال تعالى ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، أو كظلمات في بحرٍ لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل رواه أحمد

والترمذي والحاكم وصححه وقال الهيثمي رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما ثقات وقال ابن حجر في فتاويه إسناده لا بأس به انتهى من فيض القدير ٢ : ٢٣١ .

الوجه السابع قوله فكلها إذن حبيب إذ كلها هدية من الحبيب اهـ. أقول هذا الكلام كفر وبيانه من وجوه الوجه الأول أن الله أخبر أن الشيطان عدو قال تعالى إن الشيطان لكم عدو ومن قال إن كل موجود حبيب لزمه أن يقول إن الشيطان حبيب ، وهذا تكذيب للقرآن ، الوجه الثاني أن الله أخبر أن الكفار أعداءه قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ ومن قال إن كل موجود حبيب فقد كذب القرآن ومن كذب القرآن فهو كافر ، الوجه الثالث أن اليهود والنصارى ادعوا أنهم أولياء الله وأحباؤه فأكذبهم الله وعلى قول هذا القائل يلزم أنهم أحباءه وهذا مصادمة للقرآن الوجه الرابع أن هذا يستلزم التسوية بين أولياء الله وأعدائه وهذا باطل مخالف للقرآن والسنة قال تعالى : ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون** ﴾ وقال النبي ﷺ إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالح المؤمنين متفق عليه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه .

الوجه الثامن قوله فكلها هدية من الحبيب إن أراد أنهم مصطفون عنده محبوبون له فهذا كفر وإن أراد أنهم خلقه فهذا حق ولكن هذا لا يوجب لهم الحب لأن الحب يرجع فيه إلى الشرع لا إلى القدر ، والشرع نهي عن حبهم وتوليهم وأمر ببغضهم كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن**

يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ وقال ﷺ المرء مع من أحب متفق عليه ولكن هذا الضال لم يفرق بين شرع الله وقدره وهذا هو سبب ضلال كثير ممن ضل في هذا الباب ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور والله أعلم .

الموضع التاسع والسبعون بعد المائة

قال في الجزء السادس على سورة الفلق ص ٤٠٠٨ .

وقد وردت روايات بعضها صحيح ولكنه غير متواتر أن لبيد ابن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ في المدينة قيل أياماً وقيل أشهراً حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء وهو لايأتيهن، في رواية وحتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، في رواية وأن السورتين نزلتا رقية لرسول الله ﷺ فلما استحضر السحر المقصود كما أخبر في رؤياه وقرأ السورتين انحلت العقد وذهب عنه السوء، ولكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ، ولا تستقيم مع الإعتقاد بأن كل فعل من أفعاله ﷺ وكل قول من أقواله سنة وشريعة ، كما أنها تصطدم بنفي القرآن عن الرسول ﷺ أنه مسحور وتكذيب المشركين فيما كانوا يدعونه من هذا الإفك ، ومن ثم نستبعد هذه الروايات وأحاديث الآحاد لايؤخذ بها في أمر العقيدة والمرجع هو القرآن والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد ، وهذه الروايات ليست من المتواتر فضلا على أن نزول هاتين السورتين في مكة هو الراجح مما يوهن أساس الروايات الأخرى .

الكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول قوله لكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية كلام باطل وبدعة فقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠ :

٢٢٦ قال المازري:أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى إليه بشيء قال المازري وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض إلى أن قال قال عياض فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده إلخ كلامه الوجه الثاني قوله وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة إلخ كلام باطل مخالف لإجماع الصحابة والتابعين وإجماع أئمة الإسلام وإنما هو قول أهل البدع كالمعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج ومن وافقهم ممن خرق الإجماع انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ـ الطبعة المصرية .

الوجه الثالث قوله ومن ثم تستبعد هذه الروايات، يقال له لا يستبعد هذه الروايات إلا مبتدع وأما أهل السنة فيصححونها كما ثبت وكيف تستبعد وقد رواها البخاري ومسلم في صحيحهما اللذين أجمع العلماء على تلقيها بالقبول فإن كان شاكا فلينظر في صحيح البخاري في كتاب الطب ومسلم في السلام باب السحر رقم ٢١٨٩ وشرح النووي ١٤ : ١٧٦ .

الوجه الرابع قوله: على أن نزول هاتين السورتين في مكة هو الراجح مما يوهن هذه الرواية جوابه من وجهين الأول أن ترجيحه

لنزولها في مكة خلاف الراجح عند المحققين بل الصحيح نزولها في المدينة لحديث عائشة المتقدم قال ابن الجوزي في تفسيره ٩: ٢٧٠ وفيها قولان أحدهما مدنية رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة في آخرين، والثاني مكية رواه كريب عن ابن عباس وبه قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر والأول أصح ويدل عليه المعوذتان إلخ كلامه الوجه الثاني أن يقال لو ثبت نزولها في مكة لم يدل ذلك على بطلان الحديث الصحيح لاحتمال أن تكونا نزلتا مرتين لأن أسباب النزول قد تتعدد كما أشار إليه في تيسير العزيز الحميد لما تكلم على قوله وأنزل الله في أبي طالب ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت** ﴾ ص ٢٦٤ والله أعلم .

سورة الناس

الموضع الثمانون بعد المائة

﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس﴾ ٦: ٤٠١٠

قال والإله هو المستعلي المستولي المستلط .

أقول هذا فيه نظر لأن الإستعلاء والإستيلاء والتسلط من معاني الربوبية والملك لا من معاني الإله ولكن هي مستلزمة لها ولهذا كان المشركون مقرين بأن الله هو المستعلي المستولي المتسلط ولم يكونوا بذلك مسلمين لأنهم لم يفردوه بالألوهية وهي العبادة فالإله على القول الصحيح هو المعبود المستحق للعبادة وليس معناه المستعلي المستولي وإنما هذا قول المتكلمين وأهل البدع فإنهم يقولون الإله القادر على الإختراع ولهذا يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة انظر التفسير القيم ٥٩٦: ٥٩٧. والله أعلم.

سورة الناس

الموضع الحادي والثمانون من بعد المائة

قال في الجزء السادس ص ٤٠١١ ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ ١ : ٤٠١١ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل سوس اهـ .

أقول جزمة برفع هذا الكلام إلى رسول الله ﷺ فيه نظر قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨ : ٧٤١ إسناده إلى ابن عباس ضعيف أخرجه الطبري والحاكم وفي إسناده حكيم بن جبير وهو ضعيف إلى أن قال ورويناه في الذكر لجعفر بن أحمد بن فارس عن ابن عباس وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وفيه مقال وأخرجه سعيد بن منصور من وجه آخر ابن عباس انتهى بتصرف والله أعلم وهذا آخر ما تيسر جمعه وأسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وأن لا يجعله ملتبساً علينا فنضل ونسأله تعالى أن يثبت الإيمان في قلوبنا ثبوت الجبال الراسيات وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

تم بحمد الله